مجلة التلميذ

محتويات العدد

الإفتتاحية..... رئيس التحرير	03
درس من التنزيل..... الدكتورة نورأفشاں	07
قنديل أم هاشم ..... د.محمد يوسف خان	14
العلاقة بين اللغة العربية ..... د. جاويد أحمد بال	23
هموم المرأة في روايات...د. معراج أحمد معراج الندوي	32
الإتجاه الواقعي في روايات يوسف السباعي..... سيف الله تانترے	45
قنديل أم هاشم صراع بين العلم و الإيمان..... توصيف أحمد مير	53
رواية الزيني بركات قراءة في الرؤية والتشكيل..... محمد تنوير	64
كتاب الأخبار للجاحظ..... د. أورنك زيب الأعظمي	71
مصطفى صادق الرافعي ومميزاته..... سوميت سيرئيامان	83
ميخائيل نعيمةآثاره وجهوده..... د. عائشة صديقة عثماني	91

مجلة التلميذ
مجلة عربية أدبية شهرية تصدر عن
مركز الثقافة الندوية بانته جوك
سرينجر كشمير

الرئيس العام
البرفيسور محمد صلاح الدين العمري
نائب الرئيس العام
الدكتور ريحان أختر القاسمي
مديرة التحرير
الدكتورة نور أفشاں
رئيس التحرير
الدكتور معراج الدين الندوي
مساعدوه
الدكتورفاروق أحمد ميرالقاسمي
الدكتور محمد ريحان الندوي
الدكتور عنايت الله واني الندوي
الدكتور محمد ارشاد الحق

الهيئة الاستشارية

البروفيسوركفيل أحمدالقاسمي	عميد كلية الآداب سابقا بجامعة عليكرة الإسلامية ،الهند
الروفيسور مسعود أنور علوي	رئيس قسم العربية سابقا بجامعة عليكرة الإسلامية، الهند
البروفيسور صلاح الدين تاك	رئيس قسم اللغة العربية جامعة كشمير سرينجر
البروفيسور محمد يسين شاه	المسجل بالجامعة العنقودية سرينجر
د . تيسير محمد أحمد الزيادات	المحاضر بالجامعة السعودية الإلكترونية
البروفيسور عبدالرحمن واني	رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة كشمير
البروفيسور شاد حسين	رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة كشميرسرينجر
الرو فيسور بيرزاده بشيرأحمد	رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة كشمير سرينجر
البرفيسور مظفر حسين الندوي	قسم اللغة العربية بالكلية أمرسينغ الحكومية سرينجر
البروفيسور عبد الرحمن وار	قسم اللغة العربية بكلية أمرسينج الحكومية، كشمير سابقا
الدكتور محمد يوسف خان	الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية بجامعة عليكرة الإسلامية
الدكتورة تسنيم كوثر	الأستاذة المشاركة بقسم اللغة العربية بجامعة عليكرة الإسلامية
د. زكرياء السرتي المغربي	المدير العام لشبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات بالمغرب .
هناء الجندوبي التونسية	الباحثة و المتخصصة بمجال العلوم التطبقية و التكنولوجيا بتونس
د.قاضي عبدالرشيد الندوي	الباحث و الأكاديمي بالدوحة قطر
الدكتور شمس كمال أنجم	رئيس قسم اللغة العربية بجامعة باباغلام شاه بادشاه راجوري كشمير
الدكتورة عرفاني رحيم	رئيسة قسم اللغة العربية سابقة بالجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا، كشمير

بسم الله الرحمن الرحيم

معلومة قد لا تعرفها عن اللغة العربية!

قال "ويلي براندت[1]" لعربي مرة:

" إذا أردتُ أن أبيعك بضاعتي يجب أن أتحدث لغتك وإذا أردتَ أن تبيعني بضاعتك فعليك أن تتحدث بالألمانية " .

فأمّا اللغة العربية فهي لغة عالمية دِيْنَامِيكِيَّة في العالم ، وهي لغة سامية و واحدة من أكثر اللغات انتشارا في العالم و التي يتحدث بها أصلا أكثر من 300 مليون عربي يعيشون في 22 بلدا؛ ويستخدمها مكتب الأمم المتحدة في منظماتهم رسميا باعتبارها واحدة من أكثر اللغات انتشارا في العالم. وكما أنها واحدة من اللغات الرسمية الست للأمم المتحدة.[2] وهي لغة وحيدة من اللغات العالمية في العملة أكثر من ثلاثة عشر قرنا *ونصف*.و إن الاحتفال باليوم العربي العالمي في 18 كانون الأول / ديسمبر من قبل الأمم المتحدة هو مظهر من مظاهر الاعتراف

---

[1] Willy Brandt المستشار الألماني الأسبق

[2] اللغات الرسمية الست للأمم المتحدة هي العربية والصينية والانكليزية والفرنسية والروسية والإسبانية.

العالمي بهذه اللغة. وعلاوة على ذلك، فهي أيضا لغة دينية لأكثر من مليار مسلم من مختلف اللغات والأصول في البلدان في جميع أنحاء العالم.

و لقد كانت اللغة العربية هي لغة العلم و الثقافة والأدب و ما زالت وثيقة الأواصر بهوية الثقافة الإسلامية و الدينية و خصائصها،فقد و عت منذ أمد بعيد. و إننا نعرف بمعرفة جيدة إلى أقصى الغاية أن لكلّ مجتمع و شعبٍ و قوم ثقافته التي يتميَّز بها عن غيرهم، فالثقافة في أي شعب و مجتمع لن تعرف و تظهر إلا بظهور لغته بقوة و الحفاظ عليها بشدة لأن اللغة هي مرآة ثقافة مجتمع و شعب و قوم، وهي الوسيلة التي تستخدمُها الشعوب للتَّعبير عن العناصر المختلفة للثَّقافة: عاداتها وقوانينها وتقاليدها ومفاهيمها، ويوجد تكامُل بين اللُّغة والثَّقافة، وكلاهما يكتسب بصورة اجتِماعيَّة، فالتَّكامُل بين اللُّغة والثَّقافة على درجة كبيرة من الأهمّيَّة، وتبرز تلك الأهمّيَّة بوضوح في مَجال تَعليم اللغة العربيَّة . ولا شك في هذا الأمر التاريخي و لا ريب فيه بأن اللغة العربية ورثت كنوز المعرفة من الحضارات الهندية والفارسية والرومانية واليونانية والمصرية القديمة.و إنها لغة الأدب الحديث من الطراز العالمي ولغة الطلب في السوق. وإنها كنز المعرفة غير المستكشف إلى حد كبير و لغة مُكَرَّسة لِخِدْمَةِ العِلْمِ و

المعرفة في شكل عشرات الآلاف من المخطوطات في الهند و خارجها.

نحن نطمح إلى أن نكون مركزا نابضا للغة العربية كلغة الأدب الكلاسيكي ولغة حديثة حيوية مع إمكانات كبيرة من البحث في لغة عالية الجودة و غنية جدا للتنمية الاقتصادية والأسواق و المتاجر.

وكذلك نود في المستقبل أن نركز على البحث المعياري للكشف عن التراث الأكاديمى ،من أجل توطيد علاقاتنا مع العالم العربى.و من ناحية أخرى، توفر اللغة العربية الحديثة فرص عمل كبيرة ومتنوعة للباحثين الشباب في العالم كله.و لذلك يجب علينا أن نركز على التدريب الفعال للطلاب و الباحثين لنمكن لهم وصولهم إلى ارتفاعات تطلعاتهم في سوق العمل في الوقت الحاضر و حيث قيل عنها: انها نشأت وترعرعت بين أحضان التجارة.

ولذلك يدعو كاتب هذه السطور كل محب العربية الغيور علىها أن يبادر إلى الإسهام فى تطوير اللغة العربية و تنميتها و دعم المشاريع الخاصة بالنهوض باللغة العربية التي تحتاج إلى مبالغ طائلة، لا يستطيع شخص وحده أن يفي بها و على المثقفين والمعلمين و الجامعيين فحسب بل على جل واحد منا مسؤل عن خدمة هذه اللغة الشريفة و تنميتها و تطويرها البيت و جعل

الجيل المسلم المتسلح بأصول اللغة وحب هذه اللغة، علينا كلا هدف واحد فهو نشر الوعي بين المجتمع المسلم على وجه الخصوص و توعية الجيل الجديد على وجه العموم حتى يكبر وفي قلبه حب اللغة ومعرفة من هم أعداء هذه اللغة الذي يحاولون مسح وجودها أو تهميشها و ليس الكلام في الأمر بأن الهدف صعب الوصول ولكن مع الإصرار و العزيمة القوية يصبح الأمر سهلا ليس بالصعب مادمنا نعقد النية ونحرص على اتخاذ خطوات متقدمة نحو هدفنا النبيل الذي أصبح بين متناول أيدينا الآن فقط يجب علينا أن نضع هدفنا نصب أعيننا لنتمكن من الوصول إليه بأسهل وأقصر الطرق لنكون قادرين على التواصل بشكل أفضل ونحصل على فرصة عمل أفضل بما يمكننا من الوصول إلى الهدف بفضل الدافع الدفين الذي يختبئ بداخلنا.و ليس هناك صعب لابد أن نبدأ رحلة ألف ميل بالخطوة الأولى من اليوم فلنبدأ ونتوكل على الله وهو حسبنا على كل من كادنا من أعدائنا لا بد أن نسلح أنفسنا بحب كلام الله ونسلح بيوتنا و معاهدنا و مراكزنا و فيه يكون صلاح المجتمع الذي يتكون منه الشعب المتكلم باللغة العربية والله تعالى اعلم والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة البلد

درس من التنزيل: الدكتورة نور أفشاں

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ
أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾
وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ
مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا
مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ
وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ
أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْبَلَدِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِلاَ خِلَافٍ:

﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ : أقسم الله سبحانه و تعالى بهذا البلدِ الحرامِ، وهو مكة، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: -أَنْتَ - يَا مُحَمَّدُ- يَحِلُّ لَكَ أَنْ تُقَابِلَ بِهِ. وَكَذَا رُوِي عَنْ مُجَاهِدٍ و سَعِيدِ بْنِ جُبَيرٍ، وَأَبِي صَالِحٍ، وَعَطِيَّةَ، وَالضَّحَّاكِ، وَقَتَادَةَ، وَالسُّدِّيِّ، وَابْنِ زَيْدٍ.

﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ يعني: بمكة:و هو قول أكثر المفسرين. و يقول الله تعالى: لنبيه محمد ﷺ: وأنت يا محمد حِلٌّ بهذا البلد، أي أنت به حلال تصنع فيه من قَتْلِ من أردت قتلَه، وأَسْرِ من أردت أسره، مُطْلَقٌ ذلك لك.عن ابن عباس أحلّ الله لنبيه يوم دخل مكة أن يقتل من شاء، ويستحْيِي من شاء؛

فقتل يومئذ ابن خَطَل صَبْرا وهو آخذ بأستار الكعبة، فلم تحِل لأحد من الناس بعد رسول الله ﷺ أن يقتل فيها.

وَيقول الله تعالى:﴿وَ وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ:الْوَالِدُ الَّذِي يَلِدُ، "وَمَا وَلَدَ" الْعَاقِرُ الَّذِي لَا يُولَدُ لَهُ.و قَالَ بَعضُ المفسرين و منهم مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَسَعِيدُ بْن جُبَيرٍ انّ المراد بهذه الآية الشريفة : هو آدم وجميع ولدهِ[1]، وَعَن أبي عمرَان هُوَ إِبْرَاهِيم وَولده. و الله أعلم بالثواب.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ جَوابُ القَسَمِ وهو الغَرَضُ مِنَ السُّورَةِ.و هو واقع على قوله: "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي كَبَدٍ"، أَيْ: مشقَّةٍ يكابد أمر الدنيا والآخرة وشدائدها وقيل: مُنتصباً معتدلاً. و رُوِيَ: أن سببَ نزولِ هذه الآية الكريمة رَجُلٌ من قريشٍ يقال له أَنَّهُ أَبُو الأَشَدِّ، ويُقالُ: أَبُو الأَشَدَّيْنِ واسْمُهُ أُسَيْدُ بْنُ كَلْدَةَ الجُمَحِيُّ كانَ مَعْرُوفًا بِالقُوَّةِ والشِّدَّةِ يَجْعَلُ الأَدِيمَ العُكاظِيَّ تَحْتَ قَدَمَيْهِ فَيَقُولُ: مَن أزالَني فَلَهُ كَذا. فَيَجْذِبُهُ عَشَرَةُ رِجالٍ حَتّى يُمَزَّقَ الأَدِيمُ ولا تَزُولُ قَدَماهُ، وكانَ شَدِيدَ الكُفْرِ والعَداوَةِ لِلنَّبِي ﷺ فَنَزَلَ فِيهِ وقال: مقاتل: نَزَلَتْ في الحارثِ بن عامر بن نوفل أذنب فاستفتى النبي ﷺ فَأَمَرَهُ بِالكَفَّارَةِ، فَقَالَ: لَقَدْ أَهْلَكْتُ مَالاً في الكفارات وَالنفَقَاتِ، مُذْ تَبِعْتُ مُحَمَّداً، وَكَانَ كُلُّ واحد منهم قد ادعى أَنَّهُ أَنْفَقَ مَالاً كَثِيراً على إفْسَادِ أمر النبيّ ﷺ أَوْ فِي الكَفَّارَاتِ على مَا تَقَدَّمَ.

﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: يَعْنِي أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ يَأْخُذُ مَالَهُ.وَقَالَ قَتَادَةُ يَظُنُّ ابْنُ آدَمَ أَنْ لَنْ يُسأل عَنْ هَذَا الْمَالِ: مَنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَأَيْنَ أَنْفَقَهُ؟وقِيلَ: هو الوَلِيدُ بْنُ المُغِيرَةِ، وقِيلَ: هو أَبُو جَهْلٍ. وعَنْ

[1] أخرجه الطبري (12/ 586

مُقاتِلٍ: نَزَلَتْ في الحارِثِ بْنِ عامِرِ بْنِ نَوْفَلٍ، زَعَمَ أَنَّهُ أَنْفَقَ مالًا عَلى إفْسادِ أمْرِ النَّبِيﷺ . وقِيلَ: هو عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وُدٍّ الَّذِي اقْتَحَمَ الخَنْدَقَ في يَوْمِ الأحْزابِ لِيَدْخُلَ المَدِينَةَ، فَقَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أبِي طالِبٍ خَلْفَ الخَنْدَقِ.

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالا لُبَدًا﴾ أَيْ: يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: أَنْفَقْتُ مَالًا لُبَدًا، أَيْ: كَثِيرًا. قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ، وَغَيْرُهُمْ.

﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: أَيْ أَيَحْسَبُ مُنْفِقُ الْأَمْوَالِ أَنْ لَمْ يَرَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ.وضَمِيرُ "أيَحْسِبُ" راجِعٌ إلى الإنْسانِ لا مَحالَةَ، أَيَحْسَبُ هَوَ أَنَّهُ يُنْفِقُ أَمْوَالَهُ وَ اللهُ غَيْرُ مُطَّلِعٍ عَلَى أَفْعَالِهِ، وَأَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ بِمَا دَعَاهُ إِلَى هَذَا الإِنْفَاقِ؟ فَالله تَعَالَى عَالِمٌ بِسَرَائِرِهِ وَضَمَائِرِهِ، وَبِجَهْرِهِ وَعَلاَنِيَتِهِ، لاَ يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ؟.وَكَذَا قَالَ غَيْرُهُ مِنَ السلفِ و العلماءِ.

ثُمَّ ذَكَّرَ اللهُ سبحَانَه وَ تَعَالَى الإِنْسَانَ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ، فَقَالَ ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ أَيْ: يُبْصِرُ بِهِمَا، دلائلَ قدرة الله في هذا الكون ﴿وَلِسَانًا﴾ أَيْ: يَنْطِقُ بِهِ، فَيُعبر عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ، ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يَسْتَعِينُ بِهِمَا عَلَى الْكَلَامِ وَأَكْلِ الطَّعَامِ، وَجَمَالًا لِوَجْهِهِ وَفَمِهِ.

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ أي وبينا له طَرِيْقَيِ الخيْرِ وَ الشَّرِ، و الهدى والضلال، ليسلك طريق السعادةِ، ويتجنب طريق الشقاوةِ ،قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ. وَكَذَا رُوي عَنْ عَلِيٍّ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَأَبِي وَائِلٍ، وَأَبِي

صَـــالِحٍ، وَمُحَمَّـــدِ بْـــنِ كَعْـــبٍ، وَالضَّـــحَّاكِ، وَعَطَـــاءٍ الْخُرَاسَـــانِيِّ كقولـــه تعـــالى "إِنَّـــا هَـــدَيْنَاهُ ٱلسَّـــبِيلَ إِمَّـــا شَـــاكِراً وَإِمَّـــا كَفُـــوراً" وأخـــرج ابـــن مردويـــه عـــن أبـــي هريـــرة رضـــي الله عنـــه عـــن رســـول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم قـــال : « إنمـــا همـــا نجـــدان نجـــد الخيـــر ونجـــد الشـــر ، فـــلا يكن نجد الشر أحب إلى أحدكم من نجد الخير .

﴿فَـــلا اقْـــتَحَمَ الْعَقَبَـــةَ﴾ قَـــالَ كعـــب الأحبـــار: جَبَـــلٌ فِـــي جَهَـــنَّمَ.﴿فَـــلا اقْـــتَحَمَ الْعَقَبَـــةَ﴾ قَـــالَ كَعْـــبُ الْأَحْبَـــارِ هُـــوَ سَـــبْعُونَ دَرَجَـــةً فِي جَهَـــنَّمَ. وَقَـــالَ الْحَسَـــنُ الْبَصْـــرِيُّ هـــو: عَقَبَـــةٌ فِي جَهَـــنَّمَ. وَقَـــالَ قَتَـــادَةُ: إِنَّهَـــا قَحْمَـــةٌ شَـــدِيدَةٌ فَاقْتَحِمُوهَـــا بِطَاعَـــةِ اللَّـــهِ عَـــزَّوَجَـــلَّ. وَقَـــالَ قَتَـــادَةُ ﴿وَمَـــا أَدْرَاكَ مَـــا الْعَقَبَـــةُ﴾ ثُـــمَّ أَخْبَـــرَ عَـــنِ اقْتِحَامِهَـــا. فَقَالَ﴿فَـــكُّ رَقَبَـــةٍ أَوْ إِطْعَـــامٌ﴾ عَـــنْ سَـــعِيدِ بْـــنِ مَرْجَانَـــةَ: أَنَّـــهُ سَـــمِعَ أَبَـــا هُرَيـــرة يَقُـــولُ: قَـــالَ رَسُـــولُ اللَّـــهِ ﷺ: "مَـــنْ أَعْتَـــقَ رَقَبَـــةً مُؤْمِنَـــةً أَعْتَـــقَ اللَّـــهُ بِكُـــلِّ إِرْب مِنْهَـــا إِرْبًـــا مِنْـــهُ مِـــنَ النَّـــارِ، حَتَّـــى إِنَّـــهُ لَيُعْتِـــقُ بِالْيَـــدِ الْيَـــدَ، وَبِالرِّجْـــلِ الرِّجْـــلَ، وَبِـــالْفَرْجِ الْفَـــرْجَ." و عَـــنْ عَلِـــيٍّ قَـــالَ: قَـــالَ رَسُـــولُ اللَّـــهِ ﷺ: مَـــن أعْتَـــقَ نَسَـــمَةً مُسْـــلِمَةً أوْ مُؤْمِنَـــةً وقى اللَّـــهُ بِكُـــلِّ عُضْـــوٍ مِنهـــا عُضْـــوًا مِنـــهُ مِـــنَ النّارِ[1].

﴿وَمَـــآ أَدْرَاكَ مَـــا الْعَقَبَـــةُ﴾ وَأَيُّ شَـــيءٍ يُـــدْرِيكَ مَـــا اقْتِحَـــامُ العَقَبَـــةِ؟ ثُـــمَّ أَرْشَـــدَ اللهُ سُـــبْحَانَهُ وتَعَـــالَى العِبَـــادَ إِلَـــى أَنَّ اقْتِحَـــامَ العَقَبَـــةِ يَكُـــونُ بِالقِيَـــامِ بِأَفْعَـــالِ الخَيْـــرِ،و منهـــا إعْتـــاقُ رَقَبَـــةٍ وتَخْلِيصُـــهـا مِـــن أســـارِ الـــرِّقِ، وَ فَـــكُّ الـــرَّهْنِ، وفَـــكُّ الكِتـــابِ، فَقَـــدْ بَـــيَّنَ سُـــبْحانَهُ أنَّ العَقَبَـــةَ هـــي هَـــذِهِ القُـــرَبُ المَذْكُورَةُ الَّتِي تَكُونُ بِها النَّجاةُ مِنَ النّارِ.

﴿أَوْ إِطْعَـــامٌ فِـــي يَـــوْمٍ ذِي مَسْـــغَبَةٍ﴾ قَـــالَ ابْـــنُ عَبَّـــاسٍ: ذِي

[1] أخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ، وابْنُ أبِي شَيْبَةَ والطَّبَرانِيُّ

مَجَاعَةٍ. أَوْ إِطْعَامُ نَفْسٍ جَائِعَةٍ فِي أَيَّامِ الشِّدَّةِ وَالضِّيقِ.

﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴾ أَيْ: أَطْعِمْ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ يَتِيمًا، ﴿ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ أَيْ: ذَا قَرَابَةٍ مِنْهُ. قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَالْحَسَنُ، وَالضَّحَّاكُ، وَالسُّدِّيُّ. كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ:عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ، صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ."[1]

﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ أَيْ: فَقِيرًا مُدقعًا لَاصِقًا بِالتُّرَابِ، وَهُوَ الدَّقْعَاءُ أَيْضًا. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ هُوَ الْمَطْرُوحُ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي لَا بَيْتَ لَهُ،وَفِي رِوَايَةٍ: هُوَ الَّذِي لَصِقَ بِالدَّقْعَاءِ مِنَ الْفَقْرِ وَالْحَاجَةِ، لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ . وَفِي رِوَايَةٍ : هُوَ الْبَعِيدُ التُّرْبَةِ. قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: يَعْنِي الْغَرِيبَ عَنْ وَطَنِهِ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ: هُوَ الْفَقِيرُ الْمَدْيُونُ الْمُحْتَاجُ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: هُوَ الَّذِي لَا أَحَدَ لَهُ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ ذُو الْعِيَالِ. وَإِنّ الجَمِيْعَ هَذِهِ قَرِيبَةُ الْمَعْنَى.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ثم كان مع فِعْل ما ذُكر مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ من الذين آمنوا بِالله، و أوْصى بعضُهم بعضًا بالصَّبْرِ عَلى طاعَةِ اللَّهِ، والصَّبْرِ عَنِ الدُّخُولِ في مَعاصِيهِ، و عَلى الْبَلاءِ و يَتَواصَوْنَ بِالمَرْحَمَةِ عَلى الْخَلْقِ. كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشريفِ: "الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمُكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ[2]

---

[1] (المسند (٢١٤/٤) وسنن الترمذي برقم (٦٥٨) وسنن النسائي (٩٢/٥

[2]. رواه الإمام أحمد في المسند (١٦٠/٢) من حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

" وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: "لَا يَرْحَم اللهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ"[1].

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾يقول الله سبحانه وتعالى : أَيِ: الْمُتَّصِفُونَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ الَّذِيْنَ فَعَلُوا هذهِ الأَفْعَالَ الَّتِي ذُكِرَتْهَا، مِنْ فَكِّ الرِّقَابِ، وَ إِطْعَامِ الْيَتِيْمِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ. و إنهم أولئك الذين يؤخذ بهم يوم القيامة ذات اليمين إلى الجنة.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ ثُمَّ أَخْبَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالى عَنِ الَّذِيْنَ كَفَرُوا بِأَدِلَّتِنَا وحُجَجِنَا مِنَ الْكُتُبِ والرُّسُلِ وَ غَيْرِ ذلك ﴿هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ يقول: هُمْ أَصْحَابُ الشِّمَالِ أيْ أَصْحَابُ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِيْنَ يُؤخَذُ بِهِمْ ذاتَ الشِّمَالِ. ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾ أَيْ: مُطْبَقَةٌ عَلَيْهِمْ، فَلَا مَحِيدَ لَهُمْ عَنْهَا، وَلَا خُرُوجَ لَهُمْ مِنْهَا.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَمُجَاهِدٍ،﴿مُؤْصَدَةٌ﴾ أَيْ: مُطْبَقَةٌ -قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مُغْلَقَةُ الْأَبْوَابِ.

وَقَالَ قَتَادَةُ:﴿مُؤْصَدَةٌ﴾ مُطْبِقَةٌ فَلَا ضَوْءَ فِيهَا وَلَا فُرَجَ، وَلَا خُرُوجَ مِنْهَا آخِرَ الْأَبَدِ.

قال أَبُو عِمْرَانَ ، " إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِكُلِّ جَبَّارٍ وَكُلِّ شَيْطَانٍ وَكُلِّ مَنْ يَخَافُ النَّاسُ مِنْ شَرِّهِ فِي الدُّنْيَا فَيُوثَقُونَ فِي الْحَدِيدِ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، ثُمَّ أَوْصَدَهَا عَلَيْهِمْ أَيْ أَطْبَقَهَا ، فَلا وَاللَّهِ لا تَسْتَقِرُّ أَقْدَامُهُمْ عَلَى قَرَارٍ أَبَدًا ، وَلا وَاللَّهِ مَا يَنْظُرُونَ إِلَى أَدِيمِ سَمَاءٍ أَبَدًا ، وَلا وَاللَّهِ لا تَلْتَقِي جُفُونُ

[1]. رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٣١٩) من حديث جرير رضي الله عنه

أَعْيُـــنِهِمْ عَلَـــى غَمْـــضِ نَـــوْمٍ أَبَـــدًا ، وَلا وَاللَّـــهِ لا يَـــذُوقُونَ فِيهَـــا بَـــارِدَ شَـــرَابٍ أَبَـــدًا ، قَـــالَ : ثُـــمَّ يُقَـــالُ لأَهْـــلِ الْجَنَّـــةِ : يَـــا أَهْـــلَ الْجَنَّـــةِ ، افْتَحُـــوا الْيَـــوْمَ الأَبْـــوَابَ ، فَـــلا تَخَـــافُوا شَـــيْطَانًا وَلا جَبَّـــارًا ، وَكُلُـــوا الْيَـــوْمَ وَاشْـــرَبُوا هَنِيئًـــا بِمَـــا أَسْـــلَفْتُمْ فِـــي الأَيَّـــامِ الْخَالِيَـــةِ " ، قَـــالَ أَبُـــو عِمْـــرَانَ : " هِـــيَ وَاللَّـــهِ يَـــا إِخْوَتَـــاهُ أَيَّـــامَكُمْ هَـــذِهِ. " رَوَاهُ ابْـــنُ أَبِـــي حَـــاتِمٍ. (حـــديث مقطوع)

المراجع و المصادر

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ....

ابن جرير الطبري.....الوفاة: ٣١٠

تفسير القرآن العظيم...

الحافظ ابن كثير.....الوفاة: ٧٧٤

الجامع لأحكام القرآن ...

شمس الدين القرطبي.....الوفاة: ٦٧١

فتح البيان في مقاصد القرآن...

صديق حسن خان القِنَّوجي .....الوفاة: ١٣٠٧

فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية

الشوكاني.....الوفاة: ١٢٥٠

قنديل أم هاشم

(دراسة نقدية)

د.محمد يوسف خان[1]

إن أول رواية عربية ظهرت في مصر على شكل يشبه الرواية الحديثة، والتي اشتملت على التحليلات النفسية والخلقية للشخصيات التي تعرضت لها، هي قصة حديث بن هشام لمحمد المويلحي. هذه القصة ولو أنها ألفت على نمط المقامات من حيث اللغة والتعبيرات إلا أنها كانت خطوة أولى لعرض قصة تشتمل على بعض الأسس للفن القصصي الحديث. فنستطيع أن نقول أن أول تحول إلى النهضة الحديثة في الأدب القصصي الحديث كان في أواخر القرن التاسع عشر حديث بن هشام في مجلة "مصباح الشرق" يوم السابع عشر من نو فمبر سنة 1898 وظل يتابع فصولها في المجلة حتى تمت القصة في سنة 1900م.

ثم ظهرت رواية أخرى تعتبر نصبة ميل لقافلة الأدب القصصي في المجتمع العربي الحديث إلى منازلها وأغراضها المنشود، هي رواية "زينب" لمحمد حسين هيكل وهي رواية تمس صميم المجتمع الريفي في عصره ظهرت في النقد الثاني من القرن العشرين. وقد استطاع الأدب القصصي بهذه الرواية أن يظهر في ثوبها الجديد للقصة الفنية الحديثة متخلصا من التعبيرات المقامية التقليدية في العصور الماضية. ثم ظلت هذه القافلة مسرعة في السير إلى الأمام حتى ظهر محمد تيمور "الذي نادى بالتجديد في الأدب القصصي فكان يحث على خلق أب يعبر عن الشخصية المصرية

[1] الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية و آدابها ، جامعة على كره الإسلامية

ويصور المجتمع المصري ويمثل استجابته للحياة من حوله. وقد جرى على ذلك الرواد لمدرسة سميت بالمدرسة الحديثة[1].

فكان محمد تيمور هو الرائد الأول للاتجاه الجديد في الأدب القصصي، وأنه هو الذي وضع اللبنة الأولى في إساس هذا الصرح الضخم الذي اشترك في إنشائه عدد كبير من الأدباء والمهتمين بالقضايا الأدبية. فما هي هذه المدرسة الحديثة؟

في العقدين الثاني والثالث من القرن العشرين ظهر جيل من الشباب المثقف قاد حركة النهضة الفكرية الحديثة على صفحات المجلات والجرائد مثل "السفور" و"الفجر" و"السياسة" الأسبوعية و"البلاغ" الأسبوعي. وقد تولى بعض هذه المجلات نشر القصص والروايات على صفحاتها، وفي مقدمتها مجلة "السفور" لعبد الحميد حمدي ومجلة "الفجر" لأحمد خيري سعيد. وكان الثاني هو اللسان الناطق لهذه المدرسة، التي طالبت بتمصير الأدب القصصي، وكانوا يقصدون بكلمة التمصير تلوينه باللون المحلية الوطنية، فكانوا يرمون من وراء ذلك أن يكون لمصر أدبها الأصيل متحررا من التقاليد القديمة في أسلوب جديد على أن يوافق الطبيعة المصرية ومقتضيات الشعب المصري، وكان من بين هؤلاء الدكتور حسين فوزي والأستاذ أحمد خيري والأستاذ محمود طاهر لاشين، ثم انضم إلى هذه المدرسة الحديثة شاب نحو العشرين من عمره[2] مرهف الحس رائع الأداء ربما نجد شيئا من الاختلاف في كتاباته عن بقية زملائه. فهو لا يعتمد كثيرا على التشبيهات والاستعارات" ولا يغرق عباراته يسيل من البراعات

[1] عشرة أدباء يتحدثون، لفؤاد دوارة (كتاب الهلال) ص:53

[2] القصة القصيرة في مصر لعباس خضر، ص252

اللغوية ومحاسن اللفظية. نلمس من كتاباته أن يطالب بالتجديد في الأسلوب ويحاول أن يؤدي مقصده في أقل عبارة وأدق كلمة، ولو أنه قد بدأ بمحاولة أقل نضجا من الناحية الفنية في قصصه التي نشرت في مجلة "الفجر" وجريدة "السياسة"، وربما شعر بهذا الضعف في تلك القصص لذلك لم يدخلها في مجموعاته التي ظهرت فيما بعد[1]. هذا الشاب المرهف الحس هو يحي حقي.

أخذ يحي حقي يتقن كتاباته ولكنه اعتنى من الناحية اللغوية والشكلية أكثر من اعتنائه للموضوع نفسه، وهو يعترف باعتنائه بالأسلوب اللغوي ضمنا في الكلام عن قصته "صح النوم" فيقول: صح النوم يمثل في نظري التطرف المضر في تطبيق مبدأ الدقة والعمق في الأسلوب، فليس في هذا الكتاب لفظ واحد لم يكن موضع جس ووزن، وفيه صفحات كاملة لا يتكرر فيها لفظ واحد، والمسألة مع ذلك ليست مسألة صنعة بل مسألة ثراء في المعاني والأحاسيس التي تتطلب ألفاظا لا تتكرر[2].

وقد اشتهر الأستاذ يحي حقي في دنيا القصة بقصته "قنديل أم هاشم" وليست هي بأقصوصة ولا هي برواية، فهي بين هذه وتلك، ويمكننا أن نقول أنها في العربية ما تمسى في الإنكليزية بـ Novelette فهي قسم بين الأقصوصة وبين الرواية عالج فيها الكاتب مسائل أوسع من الأقصوصة ولم تبلغ في مجال أحداثها وموضوعاتها سعة الرواية.

والقصة تحوم حول صراع داخلي في نفس الإنسان بين القيم التي أخذها أثناء دراسته في أوربا وبين القيم الشرقية المحلية التي نشأ عليها، ثم

[1] نفس المصدر، ص252

[2] عشرة أدباء يتحدثون، ص116

فوز هذه القيم المحلية في هذا الصراع المرير.

بطل هذ الصراع فتى قروى عاش في المدينة في حي شعبي – حي السيدة زينب – إسمه إسماعيل. وقد سمى هذا الحي بالسيدة زينب لأنه تقع حول ضريح على مدفن يقال أنه قبر السيدة زينب بنت علي رضي الله عنها.

نشأ هذا الفتى في حراسة الله ثم في حراسة أم هاشم (وهي كنية السيدة زينب) كل حياته لم يخرج من هذا الحي، اللهم إلا تلك النزهات القصيرة التي كان يقضيها بجانب النهر على الجسر. فإذا خرج في جولته المسائية يطوف بالحي، لغته جموع من الباعة وشحاذين وزوار السيدة أم هاشم.

دخل الفتى في دور المراهقة وأخذ يشعر بذلك الشعور الذي يمر به كل إنسان في هذا السن و"بدأ يشعر بلذة غريبة في أن يندس بين المترددات على المسجد، ولا سيما يوم الزيارة "وكان كثير الزيارة للسيدة فتعرف على الشيخ دردیرى خادم المقام الذي يأتي إليه كثيرون من الرجال والنساء يسألونه شيئا من زيت قنديل أم هاشم لعلاج العيون بهذا الزيت، ومال الشيخ إلى الفتى واختصه بحنانه إلى أن أفضى إليه ببعض أسرار السيدة وقنديلها وبالجلسة التي يحضرها كبار الأولياء والسادة، فكان يسمع إسماعيل إلى الشيخ وهو شارد يفكر في الفتاة السمراء التي تزم شفتيها، ثم ينتبه إلى الشيخ دردیرى وهو يشير إلى القنديل الذي يضيء بغير صراع، لا شرق هنا ولا غرب، ما النهار هنا ولا الليل، لا أمس ولا غد وهنا يشعر الفتى بشيء يمس قلبه.

ويتقدم إسماعيل في دراسته سنة بسنة يتفوق ببركة السيدة أم هاشم، ثم يدخل امتحان الشهادة الثانوية فينجمح ولكن بنتيجة غير مرضية. فلم يستطع الدخول في مدرسة الطب التي كان وضع عليها أما له،

وأخيرا يقرر أبوه أن يرسله إلى أوربا ولو أجبره ذلك على الشظف والكفاف في حياة الأسرة كلها. ثم جاء يوم السفر وأوصاه أبوه أن يعيش في أوربا كما كان عاش في مصر متمسكا بدينه مبتعدا عن إغراءات نسائها، ثم أخبره أنه هو وأم إسماعيل قد اتفقا على أن فاطمة النبوية، الفتاة اليتيمة القريبة لهم التي تعيش معهم، سوف تنتظره لحين رجوعه، وطلب منه أن يقرأ الفاتحة على هذا القرار"فوضع يده في يد أبيه وقرأ الفاتحة، بينهما أم تبكي وفتاة حيرى بين الأسى والفرح"[1]. قرأ الفاتحة ولكن في تردد لا يدري لماذا، يصم على حفظ العهد ثم يتردد، أشياء غامضة تسيطر على نفسه. أنه لم يقترب من المرأة ولكن لا يمكنه أن ينكر "أنه جوعان إلى الفتاة السمراء، إلى النساء جميعا ولا سيما أخيرا إلى نساء أوربا".

سافر إلى أوربا وليس في ذكراه إلا نداءات تلك الفتاة السمراء إلى السيدة أم هاشم، تطلب منها الرضى والمغفرة تقول "نذرت يوم يتوب المولى على أن أزينن مقامك الطاهر بالشموع خمسين شمعة، يا أم هاشم يا أخت حسين "ثم حديث الشيخ دردیری الثرثار، ووقفته في صمت تحت ضوء القنديل.

مكث إسماعيل في انكلترا سبع سنوات تعلم فيها طب العيون ويمهر في الطب لدرجة ينال بها إعجاب أساتذته جدًا، ويجري الكثير من العمليات الصعبة بنجاح .ويتعرف على الفتاة الجميلة اسمها "ماري" التي تعرِّفه بمباهج الحضارة الأوربيّة، ولذاتها المحرمة عليه في بلاده، ويكتشف أن هناك عالمًا غريبًا عن عالمه الشرقي، وتتغير نظرته إلى الحياة، وتتأثر معتقداته الدينية، فبعد أن كان يؤمن

[1] قنديل أم هاشم. ص21

بـالله إيمانًـا عميقًـا أصـبح مؤمنًـا بـالعلم فقـط. ولـم تعـد الآخـرة تشـغله قـدر انشغاله بالطبيعة والحياة، وما تقع عليه الحواس.[1].

علمته "ماري" أن يعتمد على نفسه ويثق في نفسه، كان اعتقاده على الدين على التقاليد، على الأصول والتربية التي نشأ، فعلمته أن من يعتمد على غير نفسه يظل طول عمره أسيرا له، لا يرى الحرية، فقالت له: "من طلب أخلاق الملائكة غلبته أخلاق البهائم، والإحسان أن تبدأ بنفسك، وأن هذه العواطف الشرقية غير عملية وأن قوتها في الكتمان لا في البوح[2].

وأخذت القيم التي آمن بها تنهدم واحد بعد واحد، وروحه تتمزق. لم يبق له من القيم الثمينة شيء وأصبح كرجل تائه بين فقاقيع ضعيفة، يقضي عليها من يحرك يديه ولكنه لا يعرف كيف يحركهما. ثم اجتاز هذه المحنة وساعدته زميله في تخلعه من صراعه النفسي. خرج منها بنفس جديدة ثابتة واثقة. بدأ حياة جديدة ضعف فيها اعتقادة في الأمور الدينة، ولكنه آمن بقيم جديدة، آمن أشد إيمان وأقواه بالعلم. وأخيرا أتخلص من سيطرة ماري على نفسه. وتخلصه من هذه السيطرة أيقظ في نفسه حبه لو وطنه ولشعبه. وهو في مصر ما كان يشعر بنفسه كحلقة في سلسلة طويلة تشده وتربطه ربطا الى وطنه.[3]

ويعـود إسـماعيل ليكتشـف أن مجتمعـه غـارقٌ في الجهـل والخرافـة، يكـره هـذا الشـعب بتخلفـه وقذارتـه، ويكـره رضـاه واستسـلامه للعـادات والتقاليـد المتخلفـة، ويغضـب كثيـرًا ؛ لأن الجهـل والخرافـة قـد امتـد ليطـول ابنـة عمـه : فاطمـة النبويّـة التي تضـع لهـا أمـه قطـرات مـن زيـت

---

[1] نفس المصدر، ص29

[2] نفس المصدر، ص21

[3] قنديل أم هاشم ص 34

البترول المأخوذ من "قنديل أم هاشم" في عينيها معتقدة أنه قادر على شفائها، وعندها يثور الشاب، ويحاول تحطيم قنديل أم هاشم، ويصطدم بالجماهير التي تضربه ضربًا عنيفًا كاد يفقده حياته.

وعلى جانب آخر يفشل في علاج ابنة عمه من المرض، بل ويسبب لها العمى التام ؛ رغم أنه عالج حالات أصعب منها في أوربا!

ويقرر الشاب اعتزال المجتمع، ويعيش فترة في تأملاته وأفكاره، ثم يقوده التفكير إلى طبيعة الشعب المصري الخالدة التي لا تتغير رغم مرور الكثير من الغزاة عليه، ويعود إليه إيمانه، ويتزايد إعجابه بهذا الشعب.

وبعد فترة يتظاهر هذا الشاب بالاندماج مع الخرافات التي يؤمن بها أهله، ويطلب كمية من الزيت يستخدمه في علاج فاطمة، وينجح بالفعل في علاجها، ثم يتزوج منها، ويعيشا سويًا حياة سعيدة.

ويفتتح عيادة طبيّة يخصصها لعلاج الفقراء والبسطاء، ولا يتقاضى منهم أجرًا كبيرًا، ويكتسب حب الناس شيئًا فشيئًا، وبعد عمر مديد يموت، ويتذكره أهل الحي بالخير، ويستغفرون له، ويعلم راوي القصة (ابن أخي البطل إسماعيل) أن هذا الاستغفار بسبب العلاقات النسائية الكثيرة التي عرفها أهل الحي عن العم إسماعيل، والتي أجبرتهم طيبته ورقته على التغاضي عنها.

والقضية المحورية في قنديل أم هاشم هو: الصراع بين الأصالة والمعاصرة؛ بين القيم الشرقية العتيقة بتبعاتها الثقيلة؛ والحضارة الأوربية المُبهرة بما تتضمنه من كرامة الإنسان وحريته؛ فضلاً عمّا تحمله من تقدم علمي لا مثيل له. وفي ركاب هذه القضية المحورية لا بأس من إثارة بعض القضايا الفرعية المتعلقة بما يعانيه الشرق من جهل وتخلف.

ويمكن اعتبار هذه الرواية رواية رمزية؛ لأن" السمة المميزة لقصة الحدث الرمزي أنها قصة تكتب أساسًا من أجل تقديم موضوع ما تقديمًا دراميًا" ، ولذا يسبك الكاتب موضوعه وفكرته قي إطار درامي

قصصي رمزي من خلال الشخصيات التي تعبر كل منها عن جانب يرمز إلى جانب محدد من جوانب الفكرة الدلالية.

ولذا يمكن أن نعتبر قنديل أم هاشم رمزًا للعادات والتقاليد الموروثة المتأصلة، أو رمزًا للثبات والتحجر أمام الموروث دون أدنى محاولة للتطور؛ ولذا يصف الكاتب القنديل بأنه أبدي ومتعالٍ على كل صراع، يقول يحيي حقي:" كل نور يفيد اصطدامًا بين ظلام يجثم، وضوء يدافع، إلا هذا القنديل بغير صراع" .

ويمكن أن ننظر – أيضًا – إلى شخصية رئيسية تشارك إسماعيل في بطولة القصة هي: شخصية: فاطمة النبويّة بشيء من الرمزية التي تعلو بها لتجعلها نموذجًا لمصر كلها. وفاطمة النبويّة هي ابنة عم إسماعيل التي انتظرته في غربته، وتطلعت إليه بكل حب، وصممت على أن يكون هو الذي ينقذها مما تعانيه من عمى. إنها مصر التي تتطلع إلى أولادها المثقفين لكي ينقذوها من عمى البصيرة، ومن الوقوع فريسة للجهل والتخلف. فشخصية إسماعيل في علاقته الفاترة بابنة عمه " فاطمة النبويّة" ما يكفي ليرمز لمدى احتضانه لمشكلات وطنه" .

وقد كان الكاتب موفقًا جدًا عندما جعل فاطمة على قدر ضئيل من الجمال، فهي ليست فاتنة ولا ساحرة ولا جذابة، ومع ذلك سيحبها إسماعيل ويتعلق بها في النهاية، وهذه بالفعل رؤيتنا لوطننا، إننا لا نراه أجمل بلاد الدنيا، بل هناك الكثير من البلاد التي تفوقه علمًا وحضارةً وجمالاً؛ ومع ذلك نتعلق به، ولا نتخلى عنه، وحين عاد إسماعيل إلى إيمانه بالوطن، وتعايش مع عاداته وتقاليده كان شفاء فاطمة، وهذه رؤية فنية رمزية لتقدم الوطن وإصلاحه،" لقد آمنت فاطمة بإسماعيل بعد أن خَاطَبَهَا بلغتها فاستجابت له، وكان الشفاء، وهو ما لم يتحقق حين راح يسفِّه كل ما يخالفه من معتقدات" (8. (

ومن هذا المنطلق يمكن رؤية إصلاح إسماعيل لأحوال فاطمة هي إصلاحه الشباب المثقف لوطنه، وكل تقدم اجتماعي يحققه لها هو تقدم اجتماعي يحققه لوطنه.

وكثيرًا ما نرى في هذه القصة نقدًا مباشرًا للمجتمع الشرقي على لسان البطل إسماعيل؛ لكن ما بعينينا هو الصورة الرمزية غير المباشرة؛ حين يجعلنا الكاتب نصل إلى هذا النقد من تلقاء أنفسنا دون تدخل منه، فيكون العمل الروائي أدنى إلى الموضوعية. ومن ذلك نقد الازدواجية في الشخصية الشرقية، والتذبذب بين الإيمان المطلق من ناحية، والرغبة في التحرر من ناحية أخرى، ويمكن التمثيل لذلك بـ دردير خادم ضريح أم هاشم ، فهو من ناحية يجب أن يكون – تبعًا لموقعه الديني – مثالا للطهر والنقاء، ومع ذلك فهو من ناحية أخرى يعيش في حياة السكر والعربدة والحشيش والملذات؛ ولذا" لا تظهر عليه آثار النعمة، فجلبابه القذر هو هو، وعمامته الغبراء هي هي، ماذا يفعل بنقوده؟... إنه يحرقها في الحشيش... والحقيقة إنه مزواج، لا يمر العام إلا ويبني ببكر جديدة.." .

وهذا السلوك الذي تنتقده القصة نراه – أيضاً – في فتاة شعبية تستوقف إسماعيل وتثير تأملاته:" مزججة الحواجب، مكحلة العينين، شدت ملاءتها لتبرز عجيزتها ..

وتحجبت ببرقع يكشف عن وجهها" ، وهو يرمز بالتبرج وإبراز المفاتن من ناحية إلى: الرغبة في التحرر، ويرمز بهذا النوع من الحجاب من ناحية أخرى إلى التعبير عن شكلية الإيمان، أو الانسياق نحو التراث الذي يمثله الحجاب بنوع من التقليد لا القناعة، فالحجاب رمز ديني تأخذ المرأة به انخراطًا في تيار اجتماعي عام لا تقوى على الوقوف ضده؛ لكنها – من ناحية أخرى – تتمرد على هذا التراث بطريقتها الخاصة؛ حين لا تجعل هذا الحجاب عائقًا يحول دون إبراز مفاتنها؛ أو بالأحرى يعوق تحررها.

العلاقة بين اللغة العربية والثقافة

د. جاويد أحمد بال[1]

الملخص

علاقة الثقافة الإسلامية باللغة العربية متينة جداً، لأن القران منزل بلسان عربي مبين كما أن كنوز السنة أصلاً بلغة الضاد وفوق كل ذلك الرسول الذي بعث برسالة الإسلام, عليه أفضل الصلاة والسلام، عربي، وكان فيما سبق في هذه البراهين كفاية لإثبات أهمية علاقة اللغة العربية بالثقافة الإسلامية رغم أن المحاولات لقطع هذه العلاقة بين العربية والثقافة تحت مبررات عديدة ما زالت موجودة عبر التاريخ، ومن أهمها المبرر بأن الإسلام دين عالمي موجه إلى كافة الناس شرقاً وغرباً، والعربية تحصره بلسان خاص، زاد هذا الفكر قوة وشيوعاً في ظل العولمة تحت تأثير الحركات القومية المختلفة في العالم الإسلامي، فصار من المحتم أن ننظر في القضية مرة أخرى بالحياد والموضوعية مراعياً أصول الدين الإسلامي و آراء كبار علماء المسلمين المعتمدين عليهم في العصور السابقة والحديثة، هذه المقالة محاولة لإعادة النظر في جوهر القضية للوصول إلى حقيقة الأمر و بالله التوفيق.

الكلمات الرئيسية: الإسلام، اللغة العربية، القرآن، الثقافة، الترجمة:

مقدمة:

لا شك في أن الإسلام دين سماوي ودين عالمي، ورسالته لا تختلف في جوهرها عن رسالة الديانات السماوية السابقة الأخرى فقد جاء كل رسول

[1] الأستاذ المساعد بكلية بلوامة للبنين، paljavid@gmail.com

برسالة التوحيد كما هو واضح وثابت بنص الكتاب العزيز، ومع كل ذلك الإسلام ليس عبارة عن العقيدة فحسب، بل هو يشمل السلوك والمنهج في الحياة، فالإسلام يشترك كل الديانات السماوية في رسالة التوحيد ولكنه يستمد تركيبه وتشكيله على أرض الواقع من منهج الرسول عليه السلام في الحياة، وفي الحقيقة منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في الحياة تفسير عملي أو تعبير براغماتي عن العقيدة المجردة و لو لا الرسول صلى الله عليه وسلم لم يتح للعقيدة أن تتشكل ثقافة محسوسة ومنهجاً متكاملاً فخروج العقيدة من طور التجريد إلى طور الثقافة المحسوسة والحضارة الملموسة أصبح ممكناً بوجود النبي الذي مثلها بسلوكه ومنهجه أحسن تمثيل، ولو لم يكن كذلك لفقدت قابلية التطبيق لنا، فوجود القيم الثابتة لا ينافي عالمية الإسلام، بل هي أصل صلته بعالم البشر،ثم شاء الله أن يكون لسان هذا النبي صلى الله عليه وسلم لغة للوحي فأصبحت لها منزلة خاصة في نظام القيم الإسلامية، إذاً الرسول عليه السلام والقرآن هما مصدران مُهمّان للثقافة الإسلامية، وإذا كانت العربية وسيلة كبيرة للوصول إلى الكتاب والسنة. وهنا يطرح البعض السؤال، أليس الإسلام في آخر الأمر رسالة تصلح أن تنقل إلى كل اللغات، وإلى كل شعوب العالم مهما تباينت ثقافاتها أو لغاتها، وهنا يلبس الأمر على الناس فيظنون أن لهم كفاية في ترجمة النصوص ولا حاجة لهم إلى اللغة العربية أصلاً، ولكن القضية تتطلب مزيداً من التبصر والتأني بعيداً عن الأهواء والرغبات للوصول إلى النتيجة كي لا تفوت من أيدينا المصلحة التي يقتضيها ديننا السامي، ونحاول أن نلقي ضوء على هذه القضية الخطيرة من جوانبها العديدة من خلال المحاور التالية:-

1- الرسول صلى الله عليه وسلم عربي:

شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم محور أساسي للمسلمين في كل عمل من أعمالهم الدينية و الدنيوية، ورغم أن الدين وجب على المسلمين حبه وطالب منهم اتباعه في الدين إلا أن المسلمين من جيل صدر الإسلام أحبوا بالإضافة إلى ذاته صلى الله عليه وسلم كل شيئ منسوب إلى شخصه الكريم، فطالما كانت لغته الأم عربية أصبحت هي محببة لدى المسلمين، وقد أباح

الثعالبي عن هذا الحب في عصر لم تتغلب فيه القوى العنصرية عليه فكانت طبيعة فكره سليمة من اعتبارات قومية متعصبة رغم أنه كان من نيسابور من إيران وقال في مقدمة كتابه "فقه اللغة وسر العربية":

"فإن من أحب الله تعالى أحب رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ومن أحب الرسول العربي أحب العرب ومن أحب العرب أحب العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب"

فلا عجب إن لم يفهم القوميون أو أصحاب التنوير موقف الثعالبي وإن حسبوه مفتوناً أو مخدوعاً ولكنه بالنسبة لغالبية المسلمين تعبير عفوي عن شعورهم وانعكاس وجدانهم، وكان من بين أسباب نشر العربية بين الشعوب الإسلامية بسرعة مدهشة في العصور الأولى كونها لغة الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو أفصح العرب الذي أعطي جوامع الكلم والعربية وسيلة مهمة للاستفادة من هديه الذي قدمها لهداية الأمم، إذاً تخلدت اللغة العربية بنسبتها إلى الرسول الأعظم ولا سبيل لإنكار هذه الحقيقة ومهما قوي الحب في المسلم كف عن ازدراء لغته الكريمة بل بادر إلى أخذ نصيبه منها.

1. القران عربي

جاء التصريح في كثير من الآيات أن القران وحي منزل بلسان عربي مبين، وإذا صرفنا النظر عن قضايا علم الكلام حول كيفية نسبة الصفات إلى الله تعالى وآمنا بأن الله تعالى أثبت لذاته هذه الصفات كما أراد وقرأنا الآيات الكريمة وفق مدلولاتها وجدنا أن الإيمان بعلاقة الوحي باللغة العربية من ضروريات إيمان المسلم، فالصحابة رضي الله عنهم عاشوا خير قرن في الإسلام ولم يخوضوا في قضية خلق القرآن وفصل ألفاظها من معانيها، بل استلهموا منه تحت رعاية الرسول صلى الله عليه وسلم فمنح لهم هذا التعامل قوة وإيمانا، فإعادة قراءة الآيات التالية قراءة المؤمنين الخاشعين تجعلنا على ثقة بأن تعاملهم مع الوحي يطابق طبيعة الوحي نفسه، وترك استقواء بها بسبب الركون إلى المسائل الكلامية الفلسفية لم يجد لنا نفعاً أو خيراً فقط خلال التاريخ:

كتب فصلت ءايته قرءانا عربيا لقوم يعلمون" (فصلت 3)،حم والكتب

المبينo إنا جعلنه قراناً عربياً لعلكم تعقلون (الزخرف1- 3)
وإنه لتنزيل من رب العلمين نزل به الروح الأمين oo على قلبك لتكون من المنذرين o بلسان عربي مبينo (الشعراء 192-195)
ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ، لسان الذى يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين o (سورة النحل 103)
إنا أنزلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلونo (سورة يوسف 2)

و ليس هذا فحسب بل الله سبحان وتعالى رد من زعم وقال إن القرآن اختلقه بشر أو أتى به النبي من عنده:
وقال إن هذا إلا قول البشرo سأصليه في سقر
أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون. فليأتو بحديث مثله إن كانوا صادقين (سورة الطور 33)

وبسبب وجود القران باللغة العربية ترسخت صلة الثقافة الإسلامية بها، فوجدت حركة واسعة مترامية الأطراف في تقييد اللغة العربية وإخراجها من مجاهل العصور الجاهلية، وذلك لأن العربية أصبحت تعلمها من الدين "تعلموا العربية فانها من دينكم"[1]، وحث العلماء على تعلم لغات العرب قبل الكلام حول كتاب الله، وقال أحد التابعي الجليل المجاهد رحمه الله: "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب"، أصبح علم باللغة العربية لزاماً على المفسر ، فوجدت صلة الربط بين العربية والثقافة الإسلامية منذ البداية.

(ب) القرون الأولى أولت اهتماما كبيرا للعربية:

فانماالمسلمون على اختلاف الأجناس رحبوا بالعربية صدورهم، ولم يكتفوا بمعظم الأحوال بدراستها فقط بل أنزلوها بمنزلة لغتهم الأولى، "وقدكان الذين في الإسلام من الأعاجم على عهد الصدر الأول يبادرون إلى تعلم اللغة العربية لأجل فهم القرآن والسنة،---- وكان الصحابة يخطبون الناس باللغة

[1] اتفاق المبانى وافتراق المعاني ، سليمان بن بنين تقي الدين المصري ، ت. يحيى عبد الرؤوف جبر، دار عمار، عمان، الأردن، 1985

العربية في كل بلاد يفتحونها، وما كان يمر الزمن الطويل على بلاد يدخلونها إلا وتتحول لغتها إلى لغتهم في زمن قصير بتأثير روح الإسلام لا بالترغيب الدنيوي ولا بقوة الإلزام[1]"

و يقول أحمد حسن الزيات:

"يعتقد المسلمون بحق أن لغتهم العربية جزء لا ينفك من حقيقة الإسلام، لأنها كانت ترجمانا لوحي الله، ولغة لكتابه ومعجزة لرسوله ولسانا لدعوته....فالقرآن لا يسمى قرآنا إلا منها والصلاة لا تكون صلاة إلا بها، لذلك سارعوا إلى تعلمها والتكلم بها والتأليف فيها والتعصب لها والدفاع عنها، والدعوة إليها حتى حلت محل الفارسية في العراق والرومية في الشام والقبطية في مصر والبربرية في المغرب وأصبحت في عصر بني عباس وهو العصر الذهبي لغة الدين والأدب والعلم والسياسة والإدارة والحضارة في أكثر الدنيا القديمة وأصبح المسلم على اختلاف جنسه ينتقل من قطر إلى قطر في عالمه الإسلامي كما ينتقل من بلد إلى بلد في وطنه الأصلي، لا يجد مشقة في التفاهم ولا صعوبة في التعامل ولا شدة في المعيشة"[2]

بل لم يكتفوا بالكلام بها بل إنهم بذلوا أقصى جهودهم لتعليمها وتعلمها وجمعها وتدوينها والتأليف والتصنيف فيها، فتحركت العرب والعجم في خدمتها، حتى أن العجم سبقوا العرب في الاهتمام ببعض شؤونها، لأنها كانت قضية الأمة بأكملها، يقول أبو منصور الثعالبي عن جهدهم الجهيد في سبيلها:

"لما شرف الله العربية وعظمها ورفع خطرها وكرمها، قيض لها حفظة وخزنة من خواص الناس....فنسوا في خدمتها الشهوات وجابوا الفلوات.... وكدوا فى حصر لغاتها طباعهم وأسمروا في تقييد شواردها أجفانهم[3]"

---

[1] محمد رشيد رضا:مجلة المنار 6/496

[2] بحوالـة محمد الغزالي: حقيقة القومية العربية وأسطور البعث العربي، نهضة مصر، القاهرة، ط/3، 2005م، ص 13

[3]الثعالبي أبو منصور: فقه اللغة وسر العربية ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط/1، 2002م، جزء 1، ص 15

فإذا كان هذه القرون خير دليل وبرهان على إثبات قيمة شيئ أو قيمة اتجاه أو نزعة ما في ثقافتنا، فمن البديهي أن العربية من بين الأمور ذات الأهمية البالغة في الثقافة الإسلامية بدليل أنهم بذلو جهودهم حولها لضرورة دينية قبل كل شيئ.

(ج) أهمية تلاوة القران بالعربية:

تلاوة القران من العبادات العظيمة التي يتقرب العبد بها إلى الله سبحانه وتعالى وينال السعادة في الدنيا والآخرة، وهي ثابتة بنصوص كثيرة من الكتاب والسنة، فالقران لا يقبل الفصل بين كلمات الوحي ومعانيه، ونرى أن تحريف الكلمات عن مواضعها يشوه أو يحرف معناها أيضاً ويتوعد القران المحرفين بعذاب أليم، ثم إذا ثبت أن القران أنزل بلسان عربي مبين فاللسان لا يتكون من المعاني فحسب، ونستدل بذلك أن وجود الألفاظ جزء مهمفي الوحي، ثم يدل النص على الأجر لمن يقوم بتلاوة القران حيث قال الله تعالى:

إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم ءايته زادتهم إيمنا وعلى ربهم يتوكلون ۝ (الانفال 2)

ورتل القران ترتيلا۝(المزمل4)

إن الذين يتلون كتب الله وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقنهم سراً وعلانيةً يرجون تجرةً لن تبور۝ (فاطر 29)

ولكن السوال مازال هناك موجوداً وهو إذا اكتفينا بالترجمة واستغنينا عن القران العربي هل يمكن أن نتلو هذا النقل مقام النص الأصلي، فلنلاحظ آراء العلماء المعتمدين بهذا الخصوص الذين يعتمد عليهم غالبية الأمة العظمى وجل العلماء بل كلهم ذهبوا في عدم جواز قراءة الترجمة، يقول الإمام النووي:

"مذهبنا أنه لا يجوز قراءة القرآن بغير لسان العرب سواء أمكنه العربية أم عجز عنها وسواء كان في الصلاة أو غيرها، فإن أتى بترجمة في صلاة بدلا عن القراءة لم تصح صلاته أحسن القراءة أم لا، هذا مذهبنا وبه قال جماهير العلماء منهم مالك وأحمد وداؤود[1]"وقد صرح بأن جماهير العلماء مذهبهم في

[1]ينظر للتفصيل، النووي محي الدين أبو زكريا: المجموع شرح المهذب، بيروت، دار الفكر، ج/2، ص

عدم الجواز شمل العلماء الأحناف ايضاً، والحنفية كانت منذ أول اليوم تهتم بإجماع العلماء على الأمور، إذا أثر عن الإمام أبي حنيفة في أنه جاز قراءته بالفارسية في البداية لمن لم يستطع قراءته بالعربية، ولكن بعد مناقشة القضية رجع عن رأيه فقد أثبت أنه رجع عن رأيه فيما بعد.[1]

ثم ما بقي بيد المسلمين الذين لا يعرفون العربية إلا خياراً واحداً، هوقراءة القران بدون فهم، وهذا الاتجاه أضر بالمسلمين أكثر وإن لم يحرموا من الأجر، فقد أدى إلى ما سماه البعض "الأمية الدينية" والثقافة الخاطئة، حتى قام المفكرون والمصلحون في كل العصر ببيان ما فيه من الأضرار للمسلمين، حتى أن بعضهم شبهوا هذه القراءة إذا لم تقترن بالفهم والعمل بقراءة الوصفة الطبية التي لا تجدي لصاحبها نفعاً حتى لم يقم بما فيها من العلاج ويطبقه أو يعمل عليه، ومن الواضح أن مرحلة العمل تأتي بعد فهم الرسالة جيداً، رغم أن مثل هذه الآراء تأتي كردة الفعل لجمود أبناء الأمة تبقى الحقيقة قائمة وهي أن قراءة القران مع الفهم أفضل بكثير من قراءتها بدونه. ثم هناك من العلماء من تنبهوا بمفاسد اكتفاء بالترجمة مع الاعتراف بأنها تؤدي إلى فائدة عظيمة في نشر الرسالة، فالترجمة وسيلة سريعة لفهم مجمل ما في القران من الرسالة للإنسانية، إلا أن الإصرار على الاكتفاء بها بعد دخول الرجل في دائرة الإسلام لا يخلو من الأضرار، وخاصة أن هذه الخطوة تؤيد مصلحة العدو وليس مصلحة الأمة، يقول العلامة محمد احمد شاكر:

"فهل يريد أولئك الذين أصابتهم حمى التجدد والانتقال، بثورتهم هذه على القران الكريم في ثوبه العربي- أن يشهدوا آخر مصرع للجامعة الإسلامية ، إذ يجدون في الجمهورية التركية قرانا تركيا، وفي المستعمرات الانكليزية قرانا انكليزيا، وفي مستعمرات الدول الاخرى قرانا فرنسيا وآخر طليانيا أو إسبانيا أو هولانديا[2]"

400–392

[1] ابن عابدين: رد المحتار على الدر المختار، بيروت، دار الفكر، ط/2، 1992م، ج/1، ص/484

[2] القول الفصل في ترجمة القران الكريم إلى اللغات الأعجمية، ص12 نقلا عن كتاب الرسالة، مكتبة

وقد أجمع العلماء أن نقل القران من العربية إلى اللغات الأخرى شبه مستحيل لكونه معجزة خالدة من ناحية الفصاحة والبلاغة، فما الذي يصنع المترجم بنقله من لغته الأصلية إلى اللغات الأخرى هو أنه ينقل بعض معانيه إليها فقط وهذا النقل لا يسمى كتاب الله إلا مجازاً لتدخل البشري فيه وجرح في تقدسه وضياع في معانيه وغيرها من الأسباب، يقول محمد الغزالي:"قرآن يترجم إلى لسان آخر فهو قرآن على المجاز لا على الحقيقة، إذ هو تفسير أجنبي للوحي العربي، أو نقل لما تيسر من معاني القرآن نفسه إلى اللغات الأخرى"[1]

(د) أهمية العربية في الشعائر الدينية

مازال المسلمون يستخدمون اللغة العربية في كثير من شعائرهم الدينية، فهي لسان التعبد عندهم، فيؤدون بها الصلوات الخمس ومناسك الحج، وكثير من الأدعية والأوراد التي يقرؤونها صباح مساء بالعربية، فهذا سبب آخر بأن اللغة العربية لها صلة قوية بثقافتنا ويلزم علينا تعلمه قدر الإمكان، يقول الإمام الشافعي في كتابه "الرساله":

"فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به أنه لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله (صلى الله عليه وسلم) ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك[2]"

وقال أيضاً:

"وقال أنه كلما ازداد الإنسان علما باللسان العربي كان خيرا له، وقال بعض العلماء إنه لم يخالف أحد في هذا الحكم فكان ذلك كالإجماع[3]"

الحلبي– مصر، ط/1، 1940م، ص 48

[1] محمد الغزالي: حقيقة القومية العربية وأسطور البعث العربي، نهضة مصر، القاهرة، ط/3، 2005م، ص 13

[2] الإمام الشافعي: الرسالة، تحقيق أحمد محمد شاكر، مكتبة الحلبي– مصر، ط/1، 1940م، ص 48

[3] الإمام الشافعي: الرسالة، ص 49

ومن العلماء الذين أصدروا حكماً شرعياً بأن معرفته واجبة على المسلمين الشيخ ابن تيمية حيث قال:

"إن نفس اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب فإن فهم الكتاب والسنة واجب ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية وما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب[1]"

والمذهب الحنفي الذي ينسب إليه جواز قراءة الترجمة خطأ، يدخل حتى خطبة الجمعة في الشعائر فيصر على الاحتفاظ بعربيتها دون غيرها من اللغات، إذا الفصل بين الشعائر واللغة العربية أيضا أمر غير مقبول في نظر المسلمين.

خاتمة: إذا نعيد النظر في المقالة هذه وجدنا أن للعربية مكانة مهمة في الدين الإسلامي وثقافته، هذه المكانة تستطيع أن تقاوم أخطر تيارات مضادة لها وأي محاولة لتجريد اللغة العربية منها ستبوء بالفشل ما دام المسلمون صادقين في التزامهم بتعاليم دينهم، وذلك لأن اللغة العربية لها حضور في كل مظاهر الثقافة الإسلامية، وجزء لا ينفك عن حقيقة الإسلام، فمصادر تعاليم الإسلام وثقافته بالعربية فمهما تظاهر البعض بأنهم نقلوا الرسالة والمغزى وتركوا اللباس والمظهر بقي الأمر أن الإسلام في جوهره لا يقبل هذا التقسيم، فالقران كتاب الله لفظاً ومعنى ورسالة بدليل النص نفسه، وكتب السنة بالعربية ونتعبد بالعربية وجوباً في الصلوات الخمس ونؤدي الشعائر بها أيضاً، وإذا كان الاكتفاء بالترجمة محفوف بكثير من المفاسد فعلى المسلمين أن يقبلوا على تعلم العربية وأن يعاملوها معاملة تليق بها كما كان الناس يعاملونها في خير القرون فلنقتده بهداهم حتى نفوز في الدنيا والآخرة بإذن الله.

---

1 اسلام اور غير اسلامى تںذيب: ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم (اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم)، ترجمہ مولوى شمس تبريز خان، مجلس تحقيقات ونشريات اسلام، لكنهو، انڈيا 1979م، ط/3، ص94

هموم المرأة في روايات محمد حسين هيكل
"رواية زينب أنموذجا"

الدكتور معراج أحمد معراج الندوي[1]

محمد حسين هيكل أديب وكاتب وسياسى مصرى كبير من رواد الأدب العربي الحديث، صدرت له الطبعة الاولي من روايته الشهيرة " زينب " في القاهره عام 1914 لتؤسس بذلك البداية الرسمية للابداع الروائي بعد محاولات تمهيدية. وعلى الرغم من أن رواية "زينب" ليست أول رواية في الأدب الروائي العربي فقد سبقها عدد كبير من الروايات ولكنها تحتل هذه الرواية أهمية خاصة بين كل هذه الإنتاجات الأدبية لأسباب مختلفة ومنها قد تناول محمد حسين هيكل لأول مرة قضايا المرأة وهمومها. اهتم هذا الروائي على قضايا المرأة العربية ومعاناتها وبؤوسها في المجتمع المصري الذكوري في كتاباته القصصية والرواية وعالج مشاكل المرأة المصرية وهمومها ودعم حقوق المرأة لكي تقوم المرأة العربية وتلعب دورها الفعالة في مجال من مجالات ، ولا تحتاج إلى الرجال لحل مشاكلها الذاتية والنفسية. تدور أحداث الرواية "زينب"حول زينب بطلة الرواية وهي فلاحة في ربيع عمرها تحب ابراهيم ولكن تشاء الأقدار أن يوافق والدها على تزويجها إلى حسن وهو أعز صديق لحبيبها. ومن خلال حياة البطلة زينب المأساوية أظهر لنا هيكل صعوبة عيش أهل الريف إبان الإستعمار والجهل والظلم اللذان عايشتهما زينب بتزويجها دون رضاها. الكاتب هو الراوي في

[1] أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية وآدابها في الجامعة العالية – كولكاتا – الهند[1]

هذه الرواية فهو يحكي قصة زينب ولا يتكلم بلسانها. تظل زينب الرواية الرائدة تصور الشخصية البسيطة وصراع الحب داخل المجتمع الذي يعاني من سوء الأوضاع الاجتماعية.

مدخل: يعتبر محمد حسين هيكل أحد الأدباء الكبار في النصف الأول من القرن العشرين في مصر الذي شارك في ريادة الحياة الثقافية. كان ذا ثقافة واسعة، مطلعا على الثقافة العربية والثقافة الغربية. كانت لشخصيته جوانب عديدة. كان محمد حسين هيكل أديبا بارعا، صحافيا ثائرا وسياسيا قديرا، مؤرخا بالغ النظر ، روائيا محنكا، صاحب أول رواية عربية في تاريخ الأدب العربي الحديث. كان له دور كبير في التاريخ السياسي المصري الحديث. لم يكن متصومعًا على نفسه حلق بفكره على القضايا الاجتماعية في مصر وعالج في كتاباته عن هموم المرأة ومشاكلها اليومية. بدأ حياته الفكرية مؤمنًا بالقيم الغربية وكان رجل فكر وحركة، كتب في الفلسفة والتاريخ والأدب، هو أول من قدم إلى الادب العربي الحديث الرواية الفنية، وكان من السابقين الذين نقلوا الثقافة الغربية إلى العربية. بدأ حياته االأدبية والفكرية متأثرا بالحضارة الغربية وأفكارها ونزعاتها الوطنية إلى النهضة اثناء إقامته في فرنسا كطالب حيث كتب أول روايته "زينب". حظيت المرأة العربية باهتمام الكثير من الكتاب والأدباء والشعراء على اختلاف اتجاهاتهم وتعدد اهتماماتهم، فشغلت المرأة العربية حيزا بارزا في إنتاجاتهم الأدبية سواء أ كان شعرا أم نثرا. وظهرت على الساحة الأدبية بعض الأعمال ذات الصبغة الواقعية التي تناولت قضية المرأة العربية وهموهما بدقة ورؤية واعية متأنية، وبتقنية فنية متطورة كما هو الأمر في روايات محمد حسين هيكل.

مولده ونشأته: ولد محمد حسين هيكل في قرية كفر غنام من أعمال

مركز السنبلاوين بمديرية الدقهلية والواقعة في مصر في 20 من شهر أغسطس عام 1888م. وكانت أسرته ريفية مصرية صميمة. وكان والده حسين آفندي سالم هيكل مكرما عند الناس. ولما بلغ محمد حسين هيكل الخامسة من عمره ألحقه أبوه بكتاب القرية. فتعلم القراءة والكتابة وحفظ حوالي ثلث من القرآن الكريم. ولما بلغ السابعة من عمره التحق بمدرسة الجمالية الإبتدائية ثم انتقل إلى المدرسة الخديوية الثانوية فقرأ هناك ما قرأ وما لبث ان التحق بمدرسة الحقوق حيث درس أربع سنوات وتخرج فيها عام 1909م. ظهر فيه ميله إلى الأدب منذ أن كان في الحقوق. فعكف على قراءة الآثار العربية القديمة. وفي هذه الفترة اتصل بلطفي سيد الذي كان محررا لمجلة "الجريدة". فتح له باب هذه الصحيفة ليكتب القوقي الصغير. وكان لهذه الرعاية أثرها البعيد في تكوين شخصيته الأدبية. بعد تخرجه في الحقوق خطر بباله أن يتم تعليمه في فرنسا. سافر إلى باريس والتحق بكلية "السوربون" وحصل منها على شهادة الدكتوراه عام 1912م. عاد إلى مصر واشتغل بالمحاماة في مدينة "المنصورة" حيث أنشأ مكتبا للمحاماة وزاول هذه المهنة من 1912م إلى 1922م بكفاءة ومهارة. ومنذ سنة 1917م أخذ يلقي بعض المحاضرات في الجامعة المصرية الأهلية لأنه كان يميل طبعيا إلى الأدب رغم اشتغاله بلمحاماة. ولما أنشا حزب الأحرار الدستوريين جريدة "السياسة" عام 1922م تولى تحريرها.

ميوله إلى الأدب: وكان من الطبيعي أن ينضم محمد حسين هيكل إلى الحزب الأحرار وأن يتولى تحرير جريدته لأن أستاذه لطفي سيد الذي كان يحرر صحيفة " الجريدة" ثم انضم معه في رئاسة التحرير زميله طه حسين عندما رجع من باريس. فنهضا معا بتحرير صحيفة الأحرار الدستورين. غلبت على طه حسين النزعة الأدبية في كتاباته كما غلبت على صاحبنا محمد

حسين هيكل النزعة السياسية ولكن لم يقصر هيكل نفسه على السياسة فحسب بل بدأ يكتب مع صديقه طه حسين فصولا في الأدب والنقد. وجمع طائفة من هذه الفصول ونشرها باسم "أوقات الفراغ"عام 1925م. ولكثرة شغفه بالسياسة ترك هيكل المحاماة وانغمس في غمار الحياة الصحافية والسياسية. وتمتد هذه المرحلة السياسية والصحافية من سنة 1922م إلى 1937م. وفي عام 1937م انتقل من السياسة إلى الخدمة الحكومية فاختير وزيرا للدولة ثم وزيرا للمعارف. وما زال يتولى هذه الوزارات من حين إلى حين حتى عين في سنة 1945م رئيسا لمجلس الشيوخ. وظل في هذه الرئاسة على سنة 1950م. قضى اكثر من اسنتي عشرى سنة بين الوزارة والرئاسة ولكنه احتفظ ميوله الأدبية وأخيرا ترك الوزارة والرئاسة وكرس حياته للأدب فعكف على دراسة التاريخ الإسلامي. فأصدر سلسة من الكتب في الموضوعات الإسلامية ومنها "حياة محمد" وهو من المحاولات الرائدة لعرض السيرة النبوية بأسلوب علمي معاصر. رجع أخيرا إلى كتابة القصة والرواية وتابع بعد ذلك كتابة القصة القصيرة وبدأ ينشرها في الصحف والمجلات.

آثاره العلمية والأدبية. كتب هيكل في معظم الفنون النثرية وترك لنا المقالات والفصول في السياسة والأدب. ألف كتب التاريخ والسير والنقد والرحلات والقصص والرويات. ومن أهم مؤلفاته:

" زينب" عام 1914م "و "جان جاك روسو" عام 1921م"و" أوقات الفراغ" عام 1925م"و" عشرة أيام في السودان" عام 1927م"و" تراجم مصرية وغربية" عام 1929 و" ولدي" عام 1931م "و" ثورة في الأدب" عام 1933م ، و" حياة محمد" عام 1935م، و " في منزل الوحي" عام 1937م، و " الصديق ابو بكر" عام 1943م و" الفاروق عمر" عام 1946م، و" مذكرات في السياسة المصرية" عام 1951م

و " هكذا خلقت" عام 1955م

محمد حسين هيكل ودوره الريادي في الرواية العربية: كانت الرواية العربية قبل الحرب العالمية الأولى على حالة من التشويش والبعد عن القواعد الفنية. وكانت أقرب ما يكون إلى التعريب والإقتباس حتى ظهور رواية "زينب" لمحمد حسين هيكل عام 1914م التي اتفق النقادة على أنها بداية الروايات من حيث الفن والمضمون والتي عالجت الريف المصري. وعلى الرغم من أن رواية "زينب" ليست أول رواية في الأدب الروائي العربي عموما والمصري خصوصا، فقد سبقها عدد لا بأس به من الروايات مثل رواية "علم الدين" لعلي مبارك، و"تخليص الابريز في تلخيص باريز" للطهطاوي، و"حديث عيسى بن هشام" للمويلحي وروايات جورجي زيدان عن تاريخ الإسلام، أو رواية "الدين والعلم والمال" لفرح أنطون وغيرها كثير، نقول على الرغم من ذلك فإن رواية "زينب" تحتل أهمية خاصة بين كل هذه الانتاجات الأدبية. يقول يحي حقيفي هذا الصدد: "إن مكانة رواية زينب لا ترجع فحسب إلى أنها أول القصص في أدبنا الحديث، بل إنها لا تزال إلى اليوم أفضل القصص في وصف الريف وصفا مستوعبا شاملا.[1]

العوامل الأساسية لكتابة رواية "زينب": اكتشف محمد حسين هيكل في الأدب الفرنسي خصائص تتمثل في السلاسة والسهولة إلى جانب القصد والدقة في التعبير. تأثر هيكل بالأدب الفرنسي كما تأثر بالأدباء الفرنسيين وعلى رأسهم الأديب هنري بوردو الذي كان يسجل العادات الاجتماعية الفرنسية في قصصه ورواياته. فرواية "زينب" في الواقع هي وليدة أمرين أساسين هما الحنين إلى الوطن والإبانة عما في النفس وكما هو معلوم أن الحنين ذو الصلة بالماضي، والاعجاب ذو صلة بالحاضر والمستقبل والصراع بين الشرق والغرب. ولعل الحنين وحده هو الذي دفعه إلى كتابة هذه

الرواية. فلولا هذا الحنين ما خط قلمه فيها حرفا. عندما كان في باريس بدأ يذهب للسير إلى بعض الأماكن في الغربة يسئم ويمل قلبه من رؤيتها. وخيل إليه مناظر ريفية من خلال حنينه وتشوقه ولهفته حتى ليجعل من هذا الحينين السبب المباشر في كتابة روايته "زينب". فما كانت تقع عينيه في باريس على الأماكن والآثار إلا زاد حنينه إلى الوطن وهذا هو الذي دفعته في الواقع أن يسجل كا ما يختلج في نفسه في أسلوب قصصي.[2] والسبب الثاني الذي دفعه إلى كتابة هذه الرواية هو اتصاله وتأثره بالثقافة الغربية عامة و الآداب الفرنسية خاصة. قضي هيكل في باريس ثلاث سنوات للحصول على شهادة الدكتوراه فتأثر بالأداب الغربية تأثرا كبيرا. وكان لهذا التأثر والتأثير أثر واضح في فكره وذهنه. وهو يقول عن نفسه: "وكنت ولوعا يومئذ بالأدب الفرنسي أشد ولع، فلم أعرف منه إلا قليلا يوم غادرت مصر وبضاعتي من الفرنسية لا تتجاوز الكلمات. فلما أكببت على دراسة تلك اللغة وآدابها رأيت فيها غير ما رأيت من قبل في الآداب الإنجليزية وفي الآداب العربية. رأيت سلاسة وسهولة وسيلا. ورأيت مع هذا كله قصدا ودقة في التعبير عنه والوصف وبساطة في العبارة لا تواني إلا الذين يحبون ما يرون التعبير عنه أكثر من حبهم ألفاظ عبارتهم واختلط في نفسي ولعي بهذا الأدب الجديد عندي بحنيني العظيم إلى وطني.[3] هذا العاملان الرئيسان الذان دفعا هيكل إلى كتابة رواية زينب، وكما هو معروف أن هيكل حينما نشرها لأول مرة لم يجترئ أن ينشرها باسمه الحقيقي فنشرها باسم مستعار وهو بقلم "فلاح مصري".[4]

رواية "زينب": يكاد يتفق دارسو الأدب العربي على أن رواية "زينب" لمحمد حسين هيكل هي الرواية الفنية التأسيسية في الأدب العربي. يقول يحي حقي: "إن مكانة رواية زينب لا ترجع فحسب إلى أنها أول القصص في أدبنا

الحديث، بل إنها لا تزال إلى اليوم أفضل القصص في وصف الريف وصفا مستوعبا شاملا.[5] تبدأ الرواية بوصف الطبيعة. فوصف هيكل زينب بطلة الرواية وهي تهتم بالنهوض حيث قد تزوجت وانتقلت من بيت أبيها إلى بيت زوجها حسن. تدور أحداث رواية زينب في الريف المصري، واختيار المؤلف للريف كان له مغزاه، وذلك لما يمثله من أصالة الشخصية المصرية. تمثل "زينب" الشخصية المحورية في الرواية، إذ تبدأ الرواية بها وتنتهي على موتها. ونظرا لذلك قد سميت الرواية "زينب". وفي الحقيقة أن "زينب" هي البطلة الرئيسية، والأحداث التي تدور في الرواية تتعلق بها. هذه هي الفتاة المصرية التي يتم زواجها لحسن ولكنها لم تقتنع بها الزواج. فقد أحبت شخصا آخر من أصدقاء زوجه، وهو إبراهيم الذي غادرها لأداء الخدمة الوطنية العسكرية. وهناك حديث في الرواية عن حامد الذي أحب أبنة عمه ولكنه لم يظفر بها كما يظفر بزينب. أما بطلة الرواية "زينب" فإنها مرضت بمرض السل و في نهاية الرواية ماتت. فرواية زينب هي تذكار لمناظر الريف في مصر وحديث عن عاداتها وتقاليدها. عندما كان محمد حسين هيكل في فرنسا، يستبد به الحنين إلى وطنه الحبيب. وهو كان مغتربا مصريا كانت روحه تصهر لمصر وتضيئ قلبه وجسده من فرط حبه لوطنه. فكلما رأى منظرا جميلا ذكره بوطنه، وراح يصف منظرا يصوره في خياله.

مضمون الرواية: الموضوع الأساسي في رواية "زينب" هو وصف الريف بطبيعته وعاداته وأخلاقه مع التركيز على موضوع الحب والزواج. وذلك من خلال عن إحدى العاملات في الفلاحة التي تدعى زينب. إن موضوع الرواية هو الريف المصري ببشره وحيواناته وطبيعته وعاداته وتقاليده. تقوم الرواية على عدة عناصر من أهمها الحب المرتبط بوصف عائلة ريفية تفترش الارض مجتمعة في صبيحة أحد الايام على الفطور لتأكل ما تيسر ليذهب كل

أفرادها إلى الحقل محتملة الجوع حتى الظهيرة. إن مجرد التطرق لموضوع الحب، والعلاقة بين الرجل والمرأة بهذه الكيفية يعد جرأة كبيرة من الكاتب. يقول يحى حقي: "إنها كانت جرأة بالغة منه، فلم يكن المجتمع المصري يطيق الاعتراف بشرعية هذه العاطفة أو الخوض في التحدث عنها.[6] ولا شك في أن معالجة هذا الموضوع الاجتماعي كان ضمن وصف الريف لمناظرة الطبيعية والاجتماعية المختلفة لأن وصف الطبيعة في رواية هيكل لا يتلاءم مع الطابع العام الروائية. ولا يمهد الجو لشخصياته وأحداثه. تعالج الرواية قضية العلاقة بين الرجل والمرأة وتحكم المجتمع المصري الذكوري في هذه العلاقة. دعا الكاتب من خلال وصية بطلتها "زينب" إلى ترك الحرية للشباب وعدم اجباره على ربط علاقة محددة. والجدير بالذكر أن بطلة الرواية "زينب" توصي أمها عند موتها أن لا تتزوج أختها الصغيرة بالرجل لا تعرفه من قبل. إن الموضوعات التي عالج هذا الكاتب في أدبه هي القضايا الاجتماعية ومعاناة المرأة العربية المصرية من حيث الزواج والطلاق والحب والوجد والشوق والخيانة والحرمان والفراق والشعور بالغربة. أوضح هذه الأحاسيس كلها بجرأة وصراحة. وهو دائما يرمز حسب رغباته الفكرية والأدبية من خلال قضايا المرأة العربية للوطن والأرض والطبيعة.

أسلوب الرواية: تخلصت رواية زينب تخلصا كاملا من سيطرة السجع، ابتعد بها صاحبها من أسلوب المقامات الذي كان شائعا في عصره، وقام أن ينسجم بين تصوير الريف المصري وبين اللغة المستخدمة. يقول في هذا الصدد محمد زغلول سلام: "الميزة التي ظهرت بها زينب في كتابات هيكل هي ميله إلى المصرية، أي إلى اصطناع أسلوب مصري الطابع تبدو فيه العامية واضحة.[7] فنجد أن رواية زينب تقف في أسلوبها بين أسلوب الرواية وأسلوب المقامة ويتنازعها الأسلوب الفني. أما لغتها فهي لغة وصفية استطاع الكاتب

من خلالها أن يصور لنا الأجواء الريفية ببعدها البشري والطبيعي كما استطاع أن يقدم كل ذلك الوصف بلغة شاعرية ورومانسية، ولغة واضحة بالإضافة إلى تضمينه الرواية بعض التعابير العامية.

الريف في رواية زينب: إن الحديث عن الريف هو حديث متصل بالحياة المصرية التي شهدت تغيرات وتحولات جذرية عبر محطات تاريخية طويلة. اكتسبت العناية بالريف والحياة الريفية مكانة هامة في المنجز الروائ المصري منذ فترة الاحتلال، حيث حفزت حيوية موضوع الفلاح وقضية المراة للأدباء إلى تقديم عطاء يستوعب الحياة الريفية بكل أبعادها الاجتماعية والسياسية والإنسانية. هذه الرواية زينب عادات الريف المصري وبساطة أهله ومحاسن حياتهم ومساويها وما عليها من اعتقادات. نقلها المؤلف يعيون دقيقة ونراه أن له موقفا لينقد نقائصها ومفاسدها وما على نظام اجتماعي في الريف المصري وخاصة ذكر مسألة الزواج وقضية المرأة المصرية ليس لها حق في اختيار قرينها وشريك حياتها. أظهر لنا محمد حسين هيكل صعوبة عيش أهل الريف إبان الإستعمار والجهل والظلم اللذان عايشتهما زينب بتزويجها دون رضاها. الكاتب هو الراوي في هذه الرواية فهو يحكي قصة زينب ولا يتكلم بلسانها. تظل زينب الرواية الرائدة تصور الشخصية البسيطة وصراع الحب داخل المجتمع الذي يعاني من سوء الأوضاع الاجتماعية. عمد فيها هيكل إلى وصف حياة الريف والفلاحين بصورة لم يسبقه فيها أحد من المصريين.[8] لم يفسح هيكل لنفسه في تصوير الشخصيات الجانبية وطبعها. ولم تتسع خبرته بالحياة وتجاربها العميقة وإنما عوضه بأصوفه الغنية للطبيعة الريفية في مصر.

المجتمع المصري كما يتجلى في رواية زينب: ولما كان الأدب تعبيرا عن القيم، قيم الحياة والجمال، وتصويرا للحياة. وما الأدب إلا وصف وإبراز

وتحليل العادات والتقاليد والعقائد والأخلاق والصفات الإنسانية. رأى هيكل أن الأدب رسالة ، لها قيمة وتأثير على أذهان الناس. فدعا إلى الأدب الذي يقتحم الحياة حرا طليقا ، لأن الأدب عند هو الأدب الذي له صلة وثيقة بالحياة والإنسان. يبعث الأدب في حياة الإنسان نورا كما يجب على الأدب أن يقوم على أساسه حضارة سليمة يقود الإنسان والإنسانية إلى المجد والسعادة. قد أفرغ هيكل وصف المجتمع المصري في قالب جميل ليستهوى النفس ويصقل العقل. إن هيكل هو شرقي عربي مصري في أدبه وفنه. تتسم بذلك الروح الشرقية الخالصة حين يرسم صورة المجتمع المصري البيئة المصرية صورة صادقة. دعا إلى أخذ ما يليق أخذه من حضارة الغرب في أرضية شرقية ورأى أن يتم غرس الحضارة الغربية في أرض الشرق فتنمو نموا طبعيا ملائما لطبيعة الحياة الشرقية. وهو كان يؤمن بحرية الشرق ويدافع عن إصلاح الأوضاع الفاسدة في الشرق. قد تناول هيكل في قصصه ورواياته الطبقة المتوسطة والفقيرة وعرض جوانب سيئة من حياة أفرادها ومن عاداتهم وتقاليدهم وصور أوضاع الفلاحين بأنهم رغم التعب الشديد قانعون بهذه الحياة راضون عنها. يقول عن حياة الفلاح المصري: "يصعب الله عليه النار من أعلى السماء فيلقاها صامتا صاغرا يروح ويرجع، ويرجع ويروح وراء محراثه، أو يحنى ظهره الساعات الطليلة في نكش الأرض. ويعمل غدا ما عمله اليوم، وبعد غد ما يعمله في الغد، وإن انتقل من شقاء إلى شقاء، ويرجع في المساء".[9]هذا نموذج حي لوصف حياة الفلاح. تلك الحياة التعبة القاسية، تعب كبير وعياء ظاهر، أكل بسيط وإنتاج كثير من الذرية. ولكن الفلاح راض وقانع سبب العادة. تناول هيكل في روايته زينب مسائل المجتمع المصري وقضايا الفلاحين والعمال الكادحين ومشاكل الطبقة العامية والوسطى كما أشار إلى بعض أمراض المجتمع والفساد الخلقي

والاعتقادات القديمة وعلاقات الرجل بالمرأة غير الشرعية، ثم عالج المشكلة التي يعانيها الفلاح المصري من الآلام والمصائب الاجتماعية. فالرواية من هذا اللون من القصص الاجتماعي هي التي تحدث فيها هيكل عن تجارب شخصية واصطبغ أحيانا بصبغة عاطفية. تعالج رواية "زينب" قضية العلاقة بين اللرجل والمرأة. دعا الكاتب من خلال وصية زينب إلى ترك الحرية للشباب. والعلاقة بين المرأة والرجل بهذه الكيفية يعد جرأة كبيرة من الكاتب. إن معالجة هذا الموضوع الاجتماعي العاطفي كان ضمن الريف بمناظره الطبيعية والاجتماعية المختلفة. يصف الكاتب حياة الفلاحيين ويصور أفراحهم وأحزانهم كما يصف الطبيعة الجميلة في الليل والنهار ويصور البيوت والمساجد والحقول ولكن في وصف الريف لا ينسجم في معظم الأحيان بين الحديث والطبيعة. فإن وصف الطبيعة في رواية هيكل لا يتلائم مع الطبائع العام لروايته، ولا يمهد الجو لشخصياته وأحداثه.[10] تتسم رواية زينب من الناحية الفنية ببراعة التصميم والدقة في رسم الجو وبطه بالأحداث والشخصيات.

هموم المرأة في رواية زينب: تدور أحداث الرواية حول زينب بطلة الرواية وهي فلاحة في ربيع عمرها تحب ابراهيم ولكن تشاء الأقدار أن يوافق والدها على تزويجها إلى حسن وهو أعز صديق لحبيبها ومن خلال حياة البطلة زينب المأساوية، أظهر لنا الكاتب صعوبة عيش أهل الريف إبان الإستعمار والجهل والظلم اللذان عايشتهما زينب بتزويجها دون رضاها. الكاتب هو الراوي في هذه الرواية فهو يحكي قصة زينب ولا يتكلم بلسانها. تظل زينب الرواية الرائدة تصور الشخصية البسيطة وصراع الحب داخل المجتمع الذي يعاني من سوء الاوضاع الاجتماعية. حاول هيكل أن بقدم قصة حامد للتعبير عن قلقه وضياعه ونبعث مأساة حامد حيثما نبعث

مأساة "زينب" وسرعان ما انفصل باقتران زينب من حسن. ولكن زينب ملكت الشاب زمام قلبها كان على شاكلتها. ولكن قد حالت القتاليد البالية بينه وبينها وهي ما استطاعت أن تظهر حبها تجاه إبراهيم امام لافراد الأسرة. وحينما قاله لها إبراهيم "أنا أحبك" فقامت الدنيا وقعدت بالنسبة لها وتحول الكون إلى عرس كبير. يقول هيكل: " كلما في الأرض والسماء من سعادة لا يبلغ ذرة مما يفيد عنها هاته الساعة عنة القمر والموجودات كلها في عرس كبير وذلك النسيم العذب الساري في الجو يحمل معه الهناء. هل تستطيع زينب أنة تتكلم الآن وهل يعسفها لسانها. كلا، كلا. لقد غلب عليها الفرح فهي واجمة حيرى ثابتة في مكانها ترنولإبراهيم. وبكل ما حولها ثم بحركة لم تفهمهاارتمت نحوه مسلمة نفسها بين يديه ملقية براسها على كتفيه فضمها هو إليه وراح ذاهلا بتلك النشوة التي يوحى بها جسمها."[11]

تشتغل المرأة مساحة واسعة في قصصه ورواياته. أما تركيب القصة وشخصياتها فهي عبارة عن رموز وأفكار أكثر من شخصيات قصة تبدأ فكرتها من إحساسه بالظلم والقهر ثم الشعور بالثورة والرفض للواقع والتمرد عليه على نتيجة للتطور السائد ثم انتهاء بإثبات دورها الاجتماعي في المجتمع لأنها تتكون في بناء نصف المجتمع الإنساني.

ملخص البحث: كان محمد حسين هيكل من السابقين الذين نقلوا الثقافة الغربية إلى العربية. هو أول من قدم إلى الأدب العربي الحديث الرواية الفنية، بدأ حياته االأدبية والفكرية متأثرا بالحضارة الغربية وأفكارها ونزعاتها الوطنية إلى النهضة اثناء إقامته في فرنسا كطالب حيث كتب أول روايته "زينب". إذ تعتبر رواية "زينب" الرواية التأسيسية في الأدب العربي الحديث. وعلى الرغم من أن رواية "زينب" ليست أول رواية في الأدب الروائي العربي عموما والمصري خصوصا، فقد سبقها عدد لا بأس به من الروايات

مثل رواية "علم الدين" لعلي مبارك، و"تخليص الابريز في تلخيص باريز" للطهطاوي، و"حديث عيسى بن هشام" للمويلحي وروايات جورجي زيدان عن تاريخ الإسلام، أو رواية "الدين والعلم والمال"لفرح أنطون وغيرها كثير، نقول على الرغم من ذلك فإن رواية "زينب" تحتل أهمية خاصة بين كل هذه الانتاجات الأدبية لعدة أسباب ومنها قد تناول الكاتب لأول مرة قضايا المرأة وهمومها. اهتم هذا الروائي على قضايا المرأة العربية ومعاناتها وبؤوسها في المجتمع المصري الذكوري في كتاباته القصصية والرواية وعالج مشاكل المرأة المصرية وهمومها ودعم دعما حقوق المرأة لكي تقوم المرأة العربية وتلعب دورها الفعالة وتساند بالرجال في كل مجال من مجالات الحياة. اهتم كثيرا هذا الروائ على قضايا المرأة العربية ومعاناتها وبؤوسها في المجتمع العربي الذكوري في كتاباته القصصية والرواية وعالج المشاكل المرأة المصرية وهمومها على وجه الخصوص لكى لا تحتاج إلى الرجال لحل مشاكلها الذاتية والنفسية كما حث المرأة عن طريق كتاباتها القصصية والروائية أن تكسرالأغلال والقيود التي فرضت عليها من الرجال.

المراجع والمصادر:

1- يحي حقي: فجر القصة المصرية،الهئية المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر عام 1987م
2- محمد حسين هيكل: زينب
3- محمود حامد شوكت: الفن القصصي في الأدب العربي الحديث دار الفكر العربي، القاهرة عام 1956م

الإتجاه الواقعي في روايات يوسف السباعي

سيف الله تانترے[1]

نبذة عن حياته

الدكتور يوسف السباعي من مواليد مصر، ولد في العاشر من يونيو عام ألف وتسعمائة وسبعة عشر من الميلاد في أسرة مثقفة وكان أبوه محمّد السباعي واحدا من الأدباء الّذين كانوا يكتبون المقال والقصة ويقومون بالترجمة والتعريب لعيون الأدب العلمي، ساعدت البيئة العلمية في تكوين حياته الأدبية. أخذ شهادة الليسانس من الكلية الحربية في عام 1937م كما نال شهادة الليسانس في المعهد الصحافي من جامعة القاهرة عام ألف وتسعمائة وخمسين من الميلاد، منذ ذلك الحين تولى العديد من المناصب فعمل مدرسا لسلاح الفرسان في الكلية الحربية في عام 1940م، ثمّ أصبح مدرسا لتاريخ العسكري بها عام 1949م وتدرج في المناصب حتى وصل إلى رتبة عميد. كما شارك هذا الأديب الكبير في انشاء رابطة للأقصوصية وجمعيّة الكتاب الدوليين في مصر وإتحاد الكتاب المصريين منذ سنة 1953م وفي نفس السنة انتخب رئيسا للدوائر الأدبية كلها، ثمّ أصبح رئيسا للرسالة الجديدة الشهيرة الّتي كانت مقبولة جيدة في الدول العربية كلها. وكذلك عيّن يوسف السباعي أمينا لجمعيّة التضامن الإفريقي الآسيوي عام ألف وتسعمائة ست وخمسين من الميلاد حيث نال جائزة وزارة الثقافة والإرشاد القومي للجمهورية العربية لأحسن موضوعات، ثمّ عين رئيسا لمجلس إدارة دار الهلال عام 1971م، وبعد ذلك

---

[1] الباحث في الدكتوراه، بجامعة كشمير

أصبح وزيراً للثقافة والإعلام سنة 1973م وفي نفس السنة شغل بمنصب وزير الثقافة كما كان رئيسا لمجلس الأعلى لإتحاد الإذاعة والتلفزيون ورئيسا لإتحاد الكتاب المصريين. وقد نال هذه الأديب الكبير عددا كبيرا من الأوسمة من أمثال جائزة الدولة التقديرية في الآداب سنة 1973م وبالإضافة إلى ذلك إنه أسس عددا كبيرا من المجلات منها "الرسالة الجديدة" و "آخر ساعة" و "المصور" و "جريدة الأهرام" وغيرها. رغم هذا الكم من المناصب الّتي شغلها كان ميالا للتأمل الطبيعة من حلوله وشرود فيها إلى أقصى الدرجات التوحد ملحا في السّماء والأرض مبسطا إلى خفيف الروح.

آثاره الأدبية:

أخذ يوسف السباعي يركز على الأدب والكتابة وخاصة على القصة القصيرة والرواية من سنة 1948م إلى سنة 1979م يبلغ عددها أكثر من اثنتين وعشرين قصة قصيرة وتسع عشرة رواية ومن أهم رواياته "رد قلبي (1954م) و "طريق العودة" (1956م) و "ابتسامة على شفتيه" (1971م) و "العمر لحظة" (1973م) و "إني راحلة" (1950م) و "بين الأطلال" (1952م) و "فديتك يا ليلى" (1953م) وغير ذلك. وإننا نجد يوسف السباعي كان مشغول الفكر على الدوام بالإنسان وحريته وحقه في الحياة الكريمة بحيث يملأ رواياته بصورة رائعة عن بطولة الإنسان المصري كما نرى يناصر هذا الإنسان ويدعوه إلى إزالة فساد المجتمع وظلمه وإنه يضع يده في يد الإنسان المصري ويشاركه في إعادة بناء الحياة. وكان يهدف إلى الإستقرار في المجتمع وإلى وضع المشروعات الّتي تؤدّي إلى رخاء الشعب في صمت وسكون وفي عقل وحكمة بلا تهريج ولا ضوضاء ولا شغب ولا دعاية ولا حفلات وزينات.

ولذا نجد مجموعة من الأفكار الّتي تسيطر على أدبه فهو مهتم بهذه الأفكار ويعبر عنها بأشكال مختلفة. إن حياة يوسف السباعي الأدبية واضح

أمامنا في كتاباته وبدون أي مجهود ندرك على الفور أنه أديب وفنان يفهم الحياة وما فيها ويحاول أن ينقل فهمه إلى القراء لعلهم يفهمون واقعه، وله مسالك متعددة تبدأ من نقطة واحدة وتنتهي إلى غاية واحدة كالنهر العظيم الّذي مهما تعددت روافده فإنها في النهاية تلتقي بمجراه الخالد لتبعث الحياة والنماء في الأرض. وهذا جدير بالملاحظة أنه يسمى فارس الرومانسية والواقعية معا بحيث إهتم بكليهما في مؤلفاته.

وإننا إذا ألقينا نظرة غايرة على أعماله نجد معظمها ضخمة بالواقعية وما يشابهها، فضلا عن تحويلها مباشرة إلى أفلام بحيث يصفها النقاد بأنها أكثر أهمية من الروايات نفسها حتى فرضت أعمال نجيب محفوظ نفسها على النقاد بعد ذلك، وتراجع الاهتمام بروايات السباعي الّذي ظل في بؤرة الإهتمام الإعلامي والسنيمائي مع ذلك أخذ كثير من النقاد تجنّب الإشارة إلى أعماله باعتبارها نهاية لمرحلة الرومانسية في الأدب وإنها تداعب احتياجات مرحلة عمرية لفئة من القراء صغار السن هذا في جانب. وفي جانب آخر نرى أعمال السباعي لا تخلوا من قضية المرأة ومشاكلها النفسية وهذا فضلا عن القضايا الإجتماعية الّتي ذكرناها آنفا وتتجلى هذه القضيّة (المرأة) من أوائل قصصه الشهيرة "الصفعة الثالثة". وهذه القصّة تعطى لنا صورة واضحة صادقة للواقع الّذي عاش فيه السباعي والقصّة تدور حول خادمة صغيرة كانت تخدم في بيت بالأب وولدان شابان. وإن هذه الخادمة صورة نادرة للوفاء في هذه القصّة والكاتب ينشد هذا الوفاء المطلق مشيرا إلى إنه موجود في كل إمرأة، فوفاءه النادر لم يتغير مع الزّمن أو الأحداث كما لم يتغيّر من طبيعتها مكانة أو سمو مكانة ولم يتغيّر فقر أو غنى فهي في حيّا إمراة وفية[1]. فقد نرى في هذه القصّة صراعًا طبقياً على أشده. فاستنكر الفتى حب خادمة له، فخادمة

[1]. يوسف السباعي: الصفعة الثالثة، دار العلم للملايين بيروت، ص: 57

تحب سيدها وسيّدها هذا يتصف بالمثالية المطلقة، وبالاحتفاظ والحفاظ على كرامة المستوي الّذي لا ينحدر أو ينزل عن مرتبة ليتداني مع مرتبة خادمة. فكان إحساسه من ناحيتها هو العطف والشفقة على مخلوقة بائسة مسكينة ولا يرقى هذا العطف إلى أكثر من ذلك ولا يعلو إلى مرتبة الحب. فالصراع الطبقي واضح كل الوضوح في قلم السباعي بجانب التزامه بالوفاء لمن يحب. ومن هنا نرى تمسك السباعي في قصصه بشرف الإرتباط الزّوجي وحفظ شرف الزّوجية وحماية كرامتها وإسمها. إن المرأة عند يوسف السباعي مثالية في الوفاء، هي الّتي تصبر وتحب ولكن حبها يعتبر مطعونا يدمي منها فؤادها ويحيل حياتها ناراً. فالحب هو حياة المرأة في مفهوم السباعي. أمّا الصبر فهو طبيعتها والوفاء هو المرأة نفسها. وهذا ما يؤكد عليه لويس يعقوب قائلا: "كان السباعي يرى في المرأة الوجه الفاضل في القصّة وفي الحياة يراها نموذجا للوفاء والتفاني. وكان الأم هي النموذج الأمثل للمرأة في نظرة، وهي من بدأ معها أوّل مسيرة لحياته، ولم تكن له أخت حتى يعرف المرأة كأخت، ولكنه حاول أن يعرفها بهذه الصّفة من خلال قريبات وصديقات، فكان يرى فيهن دائما الوجه الفاضل للمرأة المصريّة بكل ما فيها من طيبة وعطف وحنان وزوجة وأمّا وربّة بيت"[1].

وبعد مطالعة عميقة لرواياته نجد أن القومية العربية في قالب الواقعية تسيطر على ذهن السباعي وقلمه بحيث إنه لا يكتب عن الواقعية فحسب بل إنه يؤمن بها كطريق لخلاص الشعوب العربية كلها كما هو يصرح بنسفه قائلا: "فالإخلاص طريق يحقق للشعوب قوة ويمنحهم حرية ويثبت لهم عدالة إجتماعية"[2]. فضلا عن ذلك نراه يتحدث في رواياته عن الإنضباط بين

---

[1]. لويس يعقوب: يوسف السباعي فارس الرومانسية والواقعية، ط. الدار المصرية اللبنانية 2007م ص: 60،

[2]. يوسف السباعي: جريدة، مصر، المشكلة والحل، ص: 118

الشعوب والإحترام لجميع المبادىء والتقدير للإنسانية والحرية للفرد ولاسيما للمرأة. وهذا هو ما أشار إليه لويس يعقوب قائلا: "ويصف السباعي المرأة — بأنها الوقود الّذي يحرك الرجل، وأنه ليس هناك من ينكر أنه ما من مطمع للرّجل إلّا وكانت الرغبة الدافعة إليه هي إرضاء المرأة مهما حاول الرجل إنكار ذلك وكان يرى في المرأة الوجه الفاضل في القصّة".[1]

وهكذا يمضى الكاتب في معظم مؤلفاته على هذا المنهج من النقد والتسجيل والسخرية بعيوب هذه الأمة وبإشارة خاصة إلى المرأة بحيث إنه يكشف فساد العلاقات الإجتماعية الّتي كانت سائدة وقت ذاك. وبكل ذلك لا مفرلنا من أن نعتبره كاتبا واقعيا ولكنه إذ أجاز أن يمتزج لديه الخيال بالواقع وعالج مشكلات المجتمع وقضايا الوطن وأحداث الساعة فأثر هذا على مؤلفاته إلى حد بعيد.

وأمّا عن موقف النقاد عن "يوسف السباعي" وأدبه فقد رصده أحد الباحثين الّذي حظوا بصلة وثيقة وقرب من "السباعي" في حياته الأدبية والشخصية حيث يرى أن قول أحد النقاد: نقرأ أدب "السباعي" فنجده يصدر حتى "رد قلبي" (1954م) عن تأثر بكتاب "أدب الدنيا والدين" وشعر "شوقي" و "المتنبي" وبعض مصادر الثقافة العربية العامّة، وأوّل عمل روائي له وهو "أرض النفاق" (1947م) يخرجه من إطار قريب من "حديث عيسى بن هشام" لمحمد المويلحي" (1905م).[2]

وقال لويس يعقوب في مقدمة كتاب "يوسف السباعي فارس الرومانسية والواقعية": "إن يوسف السباعي أديب من أدباء الحياة" نراه في "السقامات" ونراه في "أرض النفاق" معالجا للمجتمع يصوّره بريشة فنان،

---

1. لويس يعقوب: يوسف السباعي فارس الرومانسية والواقعية، ص: 65
2. طه وادي: صورة المرأة في رواية المعاصرة، ط: دار المعارف القاهرة، ص: 112

تماما كما نراه "يا أمة ضحكت"، فهو إذن أديب لا ينتمي إلى مذهب معين سوى "مذهب الحياة". فهو إذن فنان الحق، الّذي يصور هذه الحياة بكل ما فيها من علاقات إنسانية وعيوب إجتماعية كما يمر بالتجربة الوجدانية ليصور فيها أدق معاني الحب والعواطف البشرية"[1]. وإن يوسف السباعي لم يكن كاتب رومانسي بل كانت له رؤية سياسية وإجتماعية في رصده لأحداث مصر، إن دوره في الثقافة المصرية لا يقل عن دوره ككاتب وأشارت إلى وصف الناقد المصري الراحل الدكتور محمّد مندور له بأنه "لا يقبع في برج عاجي بل ينزل إلى السوق ويضرب في الأزقة والدروب"[2]. وقال طه حسين عن رواية "رد قلبي" ليوسف السباعي فأنت واجد في هذه القصة حين تقرأها ألوانا كثيرة مختلفة من تصوير الحياة المصرية في ربع القرن الأخير. تجد فيها السياسة وتجد فيها الإسراف في البؤس والإسراف في الثراء والإسراف في هذا التفاوت لا بين أبناء الوطن الواحد ولا بين أبناء المدينة الواحدة، بل بين أبناء الحي الواحد أو الجزء الضئيل من هذا الحي"[3].

وإننا نصل من خلال هذه الأقوال المذكورة آنفا أن "يوسف السباعي" كان رومانسيا ولكنه في ذات الوقت كان شديد الواقعية في رومانسيته، يمتزج لديه الخيال بالواقع معالج مشكلات وقضايا الوطن وأحداث الساعة، متغلغلا في زوايا المجتمع متصورًا في طيبته وانحرافاته معرضا عيوبها معالجا مما دعا أحد الباحثين لوصفه بقوله "تتسع الرؤية الواقعية عند "يوسف السباعي" لتشمل كل مظاهر الحياة، بقصد تقديم هذه المظاهر في جوانبها المتعددة دون ان يحرّكها موقف خاص من الكاتب. والسباعي في رؤيته الواقعية الناقدة هذه

---

1. لويس يعقوب: يوسف السباعي فارس الرومانسية والواقعية، ص: 10
2. محمّد مندور: مقالة، الفكر والفن في أدب يوسف السباعي، ص: 63
3. نفس المصدر، ص: 33

يحرص كل الحرص على تقديم أكثر من حال، إيمانا منه بتوظيف العمل الفني لخدمة المجتمع". أو كما يقول ناقد آخر: "يمزج يوسف السباعي التيار الرومانسي بالتيار الواقعي في وحدة عضوية داخل خلايا النسيج الدارمي، فهو لا يلتزم بالجانب الرومانسي البحت كما يفعل الرومانسيون بل يحاول أن يتحدّد نفسه من النظرة المقيّدة بالإنطلاق إلى الشمول الفني الّذي يرى الحياة في كل صورها المتناقضة، وهذا الإلتحام بين السلبية الرومانسية والإيجابية الواقعية لا يقدّم كصورة ثابتة، ولكن كعنصر فعّال في تطور الشخصيات وتشكيل الرواية"[1]. وكان يوسف السباعي يريد أن ينقذ مجتمعه من فساد أولئك الحاكمين الجبّارين الّذين كانوا جذور الفساد في المجتمع ويقتلع دابرهم ويرسّخ في مكانهم الزعماء والحكام الّذين هم طلاب الأمن والسلام. وكذلك كان يحاول أن ينصب العدل في المجتمع ويعدل بين الناس ويطبّق فيه المشروعات والقوانين الّتي تحقق في المجتمع معنى الضبط والربط، فكان شعاره أن بناء المجتمع الجديدة لا يمكن أن يتحقق إلّا بشعب يعرف الضبط والربط.

هكذا كانت طريقة يوسف السباعي ليست تحليل مشاكل مجتمعه ووطنه فحسب، بل إنه كان يدرك أن القيم الإنسانية ومسائل الطبقة المتوسطة وإيقاظ شعور الإنسانية بين الناس ومحافظة الوطن من أيدي الظالمين من أهم القضايا له وبذلك أصبح مؤرخا حقيقيا ومصلحا إجتماعيا ينادي بالإنقلاب والتمرد وإزالة كل ما أفسدت صورة مجتمعه. فكان يحلم بظهور زعيم ينتفذ فيه العدل والمساوات ويحرص الناس على تحررها، ويتمنى لو ولد لأن أكون زعيما وخلق لينقذ أمته.

وهكذا نرى السباعي يبرز في قلوب أبناء وطنه حمية الإصلاح الاجتماعي

---

[1]. نبيل راغب: فن الرواية عند يوسف السباعي، ط: مكتبة الخانجي القاهرة 1980م، ص: 224

وأيقظهم ضد الطغاة والحاكمين المستبدين الّذين كانوا يتخطفون حريتهم وحقوقهم. وإنه كان يفكر دائما لإستقرار وطنه متمنيا إلى قوانين الّتي تؤدي إلى رخاء الشعب حتى فنى حياته لخدمة مجتمعه وأعطى كل جهد وشيء لمجتمعه وإصلاحه بطريقة روائية واقعية وأخذ مكانا رحيبا في قلوب المصريين.

فالملخص إن يوسف السباعي كان أديبا الّذي حمل في قلبه هما لاصلاح المجتمع وهو الّذي كان لديه قوة نادرة لسبر أغوار المشاكل وبصيرة نافذة لرؤية ما كان من الضعف والعيب في المجتمع، وحساسية بالغة لمعرفة مواضع الألم والوجع والداء ومقدرة فائقة للتعبير الفني عن خلجات النفوس. فكان يحاول أن يعبر همومه الّذي يستبد به شعب مجتمعه وينتقد النظام السياسي الجائر ويصرخ في وجه الفساد الإجتماعي مثل النفاق والرشوة والمحسوبية والظلم والدكتاتورية والإستبداد والفقر والمرض والكبت والقمع، فرفع صوته ضد هذه المشاكل وذكرها في كتاباته القصصية والروائية، لأنه هو الشخص الّذي تحزنه هذه القضايا والمشاكل فهو يريد أن يزيلها من مجتمعه، لأنها عاثت الفساد في المجتمع وقبحت صورته الجميلة وأحزنت قلوب الناس وظلمت على الطبقات الضعيفة.

المصادر والمراجع

1. يوسف السباعي: رد قلبي، ط: مكتبة مصر 1954م.
2. يوسف السباعي: أرض النفاق، ط: دار المعارف القاهرة 1947م.
3. يوسف السباعي: نادية، ط: القاهرة 1986م.
4. يوسف السباعي: العمر لحظة، ط: مكتبة مصر 1988م.
5. يوسف السباعي: من العالم المجهول،ط:دارالعلم والإيمان بيروت 1986م.
6. لويس يعقوب: يوسف السباعي فارس الرومانسية والواقعية، ط: الدار المصرية
7. حنان مفيد: يوسف السباعي سبعةوجوه،ط:دار الشروق القاهرة 2001م.
8. يوسف الشاروني:الرّوائيون الثلاثةمركز الحضارةالعربيةالقاهرة، 2003م.
9. نبيل راغب:فن الروايةعنديوسف السباعي،ط: مكتبة الخانجي، القاهرة 1980م.
10. غالي شكري:الفكروالفن في أدب يوسف السباعي،مكتبة الخانجي القاهرة.
11. السعيد الورقي: إتجاهات القصّة القصيرة في الأدب العربي المعاصر في مصر، ط: دار المعارف القاهرة، 1984م.
12. يوسف السباعي: مصر، المشكلة والحل، مجلة أدبية شهرية مصرية،

"قنديل أم هاشم"
صراع بين العلم و الإيمان

توصيف أحمد مير1

لقد نشأت الرواية العربية الحديثة مع بدايات الاتصال بالحضارة الأوربية فى أواخر القرن التاسع عشر، على أيدى طلائع المثقفين العرب الذين تعرفوا على الثقافة الأوربية، والرواية الأوربية، ونقلوا إلى العربية بعض الروايات الأوربية وصاغوا بعض أعمالهم صياغة روائية ، مثل ترجمة رفاعة الطهطاوى لرواية فنلون "مغامرات تليماك" وترجمة سليم البستانى لـ"إلياذة هوميروس" ، وكتب الرواد الأوائل بداية روائية من مثل "تخليص الإبريز" للطهطاوي، و"الهيام فى جنون الشام" و"الساق على الساق" لأحمد فارس الشدياق، وغيرها من أعمال البدايات الروائية العربية الأولى التي تأثرت بآثار الحضارة الأوربية، وثقافتها ورواياتها.

ثم نمت الرواية العربية وتقدمت على أيدى الأجيال التالية من الروائيين العرب، ناهجة على منوال الرواية الغربية، وتطور الشكل الروائي العربي، واتسعت مفاهيم الرواية فى الأدب العالمى وتطورت العناصر المتعارف عليها فى الفن الروائي، من استبعاد الشخصية البطولية، واختفاء الأبطال، وتقطيع الزمن والمكان، وتفتيت الشخصيات، وتقليص دور الراوي والسرد، والتركيز على الأشياء دون البشر، والاكتفاء بالمشاهد المتحركة والمتداخلة، إلى غير ذلك من التطورات المتلاحقة فى البناء الروائي المصاحبة لتطور الفن الروائي، وانعكاس التطور الاجتماعي والتقدم العلمي والقيم ومشكلات الحضارة

[1] الباحث في الدكتوراه، بقسم اللغة العربية ،جامعة كشمير سري نغر

على صفحات الرواية العالمية الحديثة وبنيتها.

خلال الحرب العالمية الثانية كان أدباء الأدب العربى قد أوقفوا أقلامهم على الأدب العربى وكانوا مشغولون بكتاباتهم الأدبية وينشرونها فى الصحف والمجلات المختلفة. وكان من بين تلك الكتابات الرواية الإجتماعية الشهيرة "قنديل أم هاشم" للأديب الكبير يحيى حقي نشرها سنة 1944م فى سلسلة إقراء التى تصدر عن دار المعارف. وبعد نشرها لم يلتفت إليها أحد إلاّ ناقدا كبيرا وأحسن بقيمتها و أدرك أهميتها و انفعل بما فيها من جمال وصدق وعمق وبساطة وأسلوب جديد قائم على الإيجاز والتركيز، وهذا الناقد الكبير الذى أحسن بقيمة قنديل أم هاشم هو سيد قطب الذى كان فى ذلك الوقت من أكبر نقاد الأدب العربى، وعند ظهور الرواية قنديل أم هاشم سنة 1944م لم يكن يحيى حقي أديبا معروفا فى الأوساط الأدبية العربية إلاّ فى دائرة محدودة جدا مشتملة على بعض أصدقائه ومعارفه لأنه كان يعمل لفترة طويلة فى السلك الدبلوماسى خارج مصر وتعرفه الناس بقصته الرائعة قنديل أم هاشم كما يقول نجيب محفوظ " تعرفت على الأستاذ يحيى حقي أديبا مبدعا حين قرأت له قنديل أم هاشم سنة 1945م وإختفى يحيى حقي فى السلك السيايى ولذلك لم أعرفه إلاّ من خلال قنديل أم هاشم حيث كنت متابعا لسلسلة " إقراء" التى تصدرها دار المعارف"[1]. وهكذا تعرفه الناس من رائعته قنديل أم هاشم التى صورت المجتمع المصرى أروع تصوير.

تعد الرواية قنديل أم هاشم من أهم أعمال يحيى حقي وهى أقصر رواية كتبت فى تاريخ الثقافة العربية الحديثة لأن مؤلفها كاتب قصة قصيرة بالدرجة الأولى. وهى قصة متوسطة الحجم ليست كالرواية أو كالقصة القصيرة، وبالرغم قصيرة الحجم إشتهرت الرواية إلى حد كبير حتى أخرجت هذه القصة مؤلفها يحيى حقي من خمول الظلمات إلى العالم اللامع لأن هذه الرواية تعكس حياة مصر الإجتماعية فى قالب حقيقى وهى صورة كاملة للمجتمع المصرى من

القرن الماضى. لقد كتبها يحيى حقي خلال إتصاله بالسلك الدبلوماسى كما يقول نفسه " فى تلك السنوات لم أنقطع عن التفكير فى بلادى وأهلها، كنت دائم الحنين إلى تلك الجموع الغفيرة من الغلابة والمساكين الذين يعيشون برزق يوم بيوم، وحين عدت إلى مصر شعرت بجميع الأحاسيس التى عبرت عنها فى قنديل أم هاشم"[2] ونالت قنديل أم هاشم شهرة واسعة فى جميع الأقطار العربية ربما لكونها أوّل رواية تناقش علاقة الشرق بالغرب فى بدايات القرن الماضى لما إشتهرت إلى حد حتى إرتبط إسم يحيى حقي بهذه الرواية. وسأل الناقد الكبير الراحل فؤاد دوارة يحيى حقي عن تفسير لإهتمام الناس إهتماما استثنائيا بروايته قنديل أم هاشم فأجاب يحيى حقي " وحين أحاول البحث عن سبب قوة تأثير قنديل أم هاشم لا أجد ما أقوله سوى أنّها خرجت من قلبى مباشرة كالرصاصة وربما لهذا السبب إستقرت فى قلوب القراء بنفس الطريقة"[3] وهكذا نستطيع القول أن هذه الرواية تحمل الأحاسيس والإنفعالات والتجارب ليحيى حقي الذاتية وتصور المجتمع المصرى فى صورة دقيقة وعميقة. وهى قصة تحتوى على الصراع بين الإيمان والشك يواجهه شاب مصرى عاش لفترة من الزمن يطلب العلم فى الغرب. ويقع هذا الشاب ضحية قلق وإضطراب بين ما تعلمه فى الغرب من علوم مادية حديثة و بين ما يراه فى الواقع الشعبى من عادات وتقاليد تعتمد بعضها على الخرافات و العفوية و الإيمان المطلق بالموروث.

وكذلك توضح لنا هذه الرواية الفترة الزمنية من المجتمع المصرى الذى كان يعانى من ضعف وتخلف وفقر وجهل، لا يتفكر أحد فى التعليم و خاصة فى هذا الحى الشعبى الذى تدور فيها أحداث الرواية. وكانت العادات و التقاليد لها قيمة غالية فى نفوس المصريين، وكانوا يهتمون بزيارة أهل البيت وأولياء الله الصالحين للتبرك بهم كما يظنّون أنهم قادرون على حل مشاكلهم وأزماتهم. ففى هذه الرواية مقارنة حية للمجتمع الشرقى المتمثل فى مصر

والمجتمع الغربى المتمثل فى إنجلترا. فالبطل هنا يجد إختلافا جوهريا فى أسلوب الحياة فيعيش المصريون بدون هدف فلا يوجد نضج و وعى، بينما فى أوربا فالحياة كانت منظمة تنظيما دقيقا و الجميع يسعى لتحقيق حلمهم من أجل نفسه ووطنه.

يروى يحيى حقي فى قنديل أم هاشم قصة العذابات الروحية الجارحة التى كان يلقاها جيل سابق من المثقفين المصريين. وهى رواية إجتماعية تدور موضوعها فى حى شعبى بالقاهرة، تعكس حياة أسرة ريفية متوسطة تعيش فى حى "السيدة زينب" تسمّى على إسم السيدة زيبب بنت الإمام على و شقيقها سيّدنا الحسين رضى الله عنه وكانت كنيتها أم هاشم ولها ضريح مهيب فى القاهرة، ويمثل ضريحها محورا جوهريا تدور بجواره أغلب أحداث القصة. وهو فى الاصل مركز جذب إجتماعى لأن القيمة ليست بالمكان وإنما بالروح التى حلت بالمكان ويمثل ضريح السيدة زينب لأسرة بطل القصة مركز الحياة، فالأسرة كلها تعيش فى رحاب السيدة زينب وفى حماها وأن أعياد السيدة زينب ومواسمها إنما هى أعياد الأسرة ومواسمها وأن حركة الحياة فى البيت تابعة للضريح، وأما قنديل أم هاشم فلها خصائص روحية وضاءة باللون، فإن زيت القنديل لا يقل أهمية وتأثيرا فهو يستخدم لعلاج الأمراض المختلفة عامة ولعلاج العيون خاصة.

تدور أحداث قصة قنديل أم هاشم حول عائلة الشيخ رجب التى هاجرت من الريف إلى القاهرة بالتحديد فى حارة المضية بالسيدة زينب. وهى قصة يروى حفيد للجد رجب عبدالله واصفا حضور الجد من الريف لزيارة السيدة زينب كما تبدأ القصة " كان رجب عبدالله إذا قدم القاهرة وهو صبى مع رجال الأسرة ونسائها للتبرك بزيارة أهل البيت"[4] إستقرت رب الأسرة هناك وفتح متجرا وتوسعت تجارته وكان له ثلاثة أولاد، عمل الإبن الأكبر بالمتجر وإبنه الأوسط كان يدرس فى الأزهر. أما الإبن الأصغر اسماعيل بطل هذه الرواية

تفوق فى دراسته تفوقا ملحوظا مما جعل أسرته تهتم بتعليمه. وبعد إنهائه حفظ القرآن فى الكتّاب دفعه أبوه إلى المدارس الأميرية وتفوق تفوقا ملحوظا. وهكذا عاش اسماعيل فى رحاب السيدة الطاهرة تربى على القيم والمبادى وبيت يقرأ فيه القرآن وتردد فيه الأوراد " وكذلك نشأ اسماعيل فى حراسة الله ثم أم هاشم"[5]. وكان اسماعيل فى سن مبكر حين تم خطبته مع فاطمة بنت عمه اليتيمة أبا وأما والتى كانت تعانى من رمد العيون.

استمر تفوق اسماعيل فى المدرسة عام بعد عام وبالطبع تأثرت شخصيته تأثرا بارزا بالحى الذى نشأ فيه وفى فترة أصبح صديق للشيخ دردیرى الذى كان مسؤلا عن زيت قنديل أم هاشم الذى يقال أنه فيه شفاء لكل الأمراض، وخلال هذه الفترة اقتربت سنة البكالوريا و بالأسف خاب أمل الأسرة فى اسماعيل حيث لم يكن من المتفوقين فى هذا العام وإنما جاء إسمه فى ذيل الناجحين وهكذا كانت علامات اسماعيل عند نجاحه ضعيفة مما يعنى عدم قبوله فى الجامعة المصرية وكان والده قد أراد إبنه أن يكون طبيبا. وبعد فترة اليأس أراد الشيخ رجب أن يُرسل إبنه إلى أوربا ورضيت أمه أيضا، وهذا السفر إلى أوربا سيكلّف أسرة من عشرة إلى خمسة عشرة جنيها فى الشهر وهذا يعنى أن تعيش الأسرة على الخبز الجاف. وجمع الأسرة من المال كل ما استطاع وإقترب موعد السفر والوداع واجتمعت الأسرة صامتة حزينة كما أنشأ أبوه يقول لإبنه " وصيتى إليك أن تعيش فى بلاد برة كما عشت هنا حريصا على دينك وفرائضه، ونحن يا بني نريدك أن ترجع إلينا مفلحا لتبيض وجوهنا أمام الناس، وأنا رجل قد أوشكت على الكبر، وقد وضعت كل آمالنا عليك، وإياك أن تغرك نساء أوربا فهن لسن لك وأنت لست لهن"[6]. وهكذا سافر اسماعيل إلى إنجلترا وترك قلوبا خافقة وعيونا دامعة.

دخل اسماعيل فى الجامعة فى انجلترا وإلتقى مع زميلته مارى فى الجامعة ووقع فى الحب معها، وهى التى علّمته فنون الجسد وفتحت له آفاقا

جديدا فى الفن والموسيقى و الطبيعة، بل فى الروح الإنسانية أيضا وأخرجته من الوخم و الخمول إلى النشاط والوثوق كما قال اسماعيل لها يوما " سأستريح عندما أضع لحياتى برنامجا أسير عليه، فضحكت وأجابت يا عزيزى اسماعيل، الحياة ليست برنامجا ثابتا بل مجادلة متجدة، يقول لها تعالى نجلس فتقوله قم نسير، يكلمها عن الزواج فتكلمه عن الحب، يحدثها عن المستقبل فتحدثه عن حاضر اللحظة"[7]. وهكذا تأثر اسماعيل بها تأثيرا بالغا شديدا الذى أبعده عن حياته الدينية و قربه إلى الحياة العلمية فإنها استبدلته إيمانا، لا يفكر فى جمال الجنة ونعيمها بل فى بهاء الطبيعة وأسرارها. وعندما أراد أن يرجع إلى بلده فقال له أستاذه " أراهن أن روح طبيب كاهن من الفراعنة قد تقمصت فيك يا مستر اسماعيل، إن بلادك فى حاجة إليك فهى بلد العميان"[8].

وبعد مدة سبع سنوات عاد اسماعيل إلى القاهرة عن طريق الإسكندرية إلى بيته فى حي السيدة زينب حيث والده ووالدته وفاطمة النبوية والحى كله تعيش فى فقر وجهل ومرض. وإنه قد أصبح طبيبا وهو الآن الدكتور اسماعيل، المتخصص فى طب العيون. و وصل اسماعيل إلى بيته وأخذت أمه تقبله وتعانقه وإلتفت الأسرة حول اسماعيل فرحين بعودته إلى بيته مرة إخرى. وقد أصبح البيت خاليا من الأثاث الذى بيع لدفع مصاريف دراسته وهكذا عاد الضوء إلى البيت مع عودة اسماعيل إلى البيت وظهرت الإبتسامة على كل وجوه الأسرة. وقبل أن ينام اسماعيل فى هذه الليلة سمع أمه تقول لفاطمة " تعالى يا فاطمة قبل أن تنامى أقطر لك فى عينك"[9]. فقام اسماعيل وسألها ماذا تقطر لها فأجابت إنه زيت قنديل أم هاشم الذى يحضره إلينا صديقك الشيخ دردير، فقام اسماعيل وفحص عينيها فوجد الرمد يلتهمها وتزداد حالتها سوءا، فصرخ اسماعيل ووقف كالمجنون وقال لأمه بصوته العال " حرام عليك الأذية، حرام عليك، أنت مؤمنة تصلين، فكيف تقبلين أمثال هذه الخرافات والأوهام"[10]. وكان أبوه يسمع كل هذا ما قال اسماعيل وهو صرخ أيضا على اسماعيل حيث

يقول له " ماذا تقول، هل هذا كل ما تعلمته فى بلاد برة؟ كل ما كسبناه منك أن تعود إلينا كافرا؟"[11]. وبعد أن سمع صوت أبيه خرج اسماعيل من بيته وذهب إلى قبر أم هاشم وهو يظن أن أسرته والمجتمع المصرى تعيش فى الخرافات وتؤمنون بالأوثان وتحجون للقبور وتلوذون بأموات، وأخذ اسماعيل عصا أبيه وضرب القنديل بالعصا فسقط. وفى هذه الأثناء هجمت عليه الناس حتى كادوا يقتلونه لو لا أن الشيخ دردیرى الذى تعرف عليه وأنقذ من أيديهم.

ظل اسماعيل فى الفراش عدة أسابيع لا يتكلم أحدا ولا يطلب شيئا و كان دائما يفكر " هل يعود إلى أوربا ليعيش وسط أناس يفهمون الحياة، إن الجامعة عرضت عليه منصب مساعد أستاذ فرفضه، ولعلهم يقبلونه الآن إذا طلب، ولم لا يتزوج هناك ويبنى لنفسه أسرة تحت سماء جديدة بعيدا عن هذا الوطن المنكود، وما فائدة الجهاد فى بلد كمصر ومع شعب كالمصريين عاشوا فى الذل قرونا طويلة"[12]. وبعد فترة قليلة أخذ اسماعيل أن يعالج فاطمة بعلمه وبالأدويات الحديثة ويقطر لها ويساعدها وأخذها إلى زملائه فى كلية الطب وعرضها على الأساتذة فوافقوه على طريقته فى العلاج ونصحوه بالإستمرار. وقد تستسلم فاطمة لهذا العلاج ولكن هذا العلاج فشل فى جميع أطرافها وتزداد مرضها ويقودها إلى العمى التام.

لقد هرب اسماعيل من البيت بعد وصول علاجه لفاطمة إلى تلك النهاية وبعد فشله فى علاجه العلمى الذى تعلمه فى جامعة لندن. وأخذ اسماعيل أن يقضى وقته بين الحى والميدان وكان دائما يفكر عن ذكريات أوربا وبيئته. ومرت الأيام حتى جاء رمضان ولم يأت فى ذهنه أن يصوم حتى جاءت ليلة القدر وتذكّر الأيام الروحانية التى يكون فيها الناس فأيقن منذ تلك اللحظة أنه لابد من الإيمان بجانب الطب والعلم و أراد أن يأخذ من الشيخ دردیرى زيت أم هاشم وهكذا خرج اسماعيل من الجامع وبيده الزجاجة وهو يقول فى نفسه للميدان وأهله " تعالوا جميعا إلىّ فيكم من آذانى، و من كذب علىّ، و من غشنى

ولكنى رغم هذا لايزال فى قلبى مكان لقذارتكم وجهلكم وانحطاطكم، فأنتم منى وأنا منكم، أنا إبن هذا الحى، وأنا إبن هذا الميدان"[13]. وكان اسماعيل غارقا فى التفكير ودخل البيت وفى يده زجاجة ونادى فاطمة " تعالى يا فاطمة لا تيأسى من الشفاء، لقد جئتك ببركة أم هاشم ستجلى عنك الداء وترد إليك بصرك"[14]. وهكذا يبدأ الدكتور اسماعيل رحلة علاج فاطمة التى تحبه ونثق به والتى انتظرته، عاد من جديد إلى عمله وطبه يستنده بالإيمان، عالج فاطمة بالزيت المبارك و بالأدوية الحديثة معا وشفيت وبعد ذلك تزوج منها وأنجب أولادا منهم خمس بنين وستة بنات.

وبعد ذلك افتتح اسماعيل عيادة فى حارة البغالية الشعبية وأخذ يعالج فيها الفقراء بقرش واحد فقط بالأدوية الحديثة وزيت أم هاشم يعنى بالعلم والإيمان، بالفهم والحب، بالتواضع والصبر. ونجح اسماعيل لأنه قد علم أن العلم لا قيمة له بغير الإيمان. وبعد فترة انتقل اسماعيل إلى جوار رحمة الله ولكن أهالى الحى كانوا دائما يتذكرونه بالخير وكانوا يستغفرون له. وهكذا تأتى هذه القصة فى إطار القصص التى تتناول الصراع بين العلم و المدينة من جهة، والدين و الإيمان من جهة أخرى. وقد خلص المؤلف فى نهاية القصة إلى ضرورة الجمع بين العلم و الإيمان وأن حياة الناس لا تصلح إلا بهما معا. وهكذا هى الرواية الحقيقية تعكس حياة إجتماعية كما هى فى الواقع كما أخذ يحيى حقي إسم بطل الرواية اسماعيل من إسم صديق له يدعى اسماعيل كامل ويقول ماجى نور الدين " وقد صور الكاتب حياة هذا الحى الشعبى الإجتماعية فى ما يشبه رؤيته فى مرآة عاكسة بكل تفاصيل ما يمر فيه وبسكانه. ولعله قد أحسن تصوير الحياة الإجتماعية ولعل أبرزها الاشكالية والتى تظهر واضحة فى غالبية سكان الحى، والإيمان بالغيبيات والروحانية فضلا عن وجود مقام من أهل البيت وهو مقام السيدة زينب قد أضفى هذه القيم على هذه البيئة الإجتماعية"[15].

وهكذا نستطيع القول أن هذه الرواية كانت حقا مرأة لهذه الفترة بما يعانيه المجتمع من أمراض و خرافات ليست صحيحة. وهنا يطرح المؤلف سؤالا هل يوجد تعارض بين العلم و الدين فى مطلع القرن الماضى خاصة للذين نالوا تعليمهم فى الخارج. فكان بطل القصة يسخر من العادات المصرية و يعتبر أن السبق والتقدم للعلم فقط ولكنه فى النهاية وجد أن الدين والعلم يخدم كل منهما الآخر. وهكذا قدمت هذه الرواية مشكلة الإغتراب الذى كان يعانى منه فئة المثقفين فى فترة ما بين الحربين، والتردد الفكرى بين الإسلامية والعلمانية و القيم التقليدية والمستحدثة كما يقول د. حمدى السكوت " تصور قنديل أم هاشم فى إيجاز غير مخل نمط الحياة فى حى السيدة زينب الشعبى و أسلوب الحياة الأوروبية الذى خبره بطل الرواية من خلال صديقته الإنجليزية أثناء دراسته للطب فى إنجلترا لمدة سبع سنوات و لدى عودته تتغلب قيم الحضارة الأوروبية لدى البطل ويثور على أسلوب العلاج التقليدى الذى يستخدم زيت القنديل لشفاء إبنة عمه، فيحطم القنديل ثم يعالجها بالأسلوب العلمى الذى درسه فى إنجلترا فتدهور حالة عينيها، وبعد فترة هجر فيها حى السيدة زينب وأسرته، بدأت ثورته تهدأ ويحن لزيارة الحى الذى نشأ فيه ويتغير موقفه نتيجة أحداث ومواقف واقعية و روحية، ويأخذ فى علاج إبنة عمه بالأسلوبين معا أو مزج الحضارتين"[16].

لقد أراد الكاتب أن ينتهى ببطله إلى المصالحة بين العلم والإيمان وبين الغرب والشرق وبين الحاضر والماضى ليبيّن لنا فى الأخير كيف يرتد البطل كلية العلوم فى الغرب وحضارته، فيدخل ميدان السيدة ليرى القنديل يشع بالنور فيناجيه أين أنت أيها النور الذى عبث عنا دهرا مرحبا بك، لا علم بلا إيمان، وتنتهى القصة ومعها إشكالية التى تؤول إلى المصالحة مع واقعه، فيرصخ للمجتمع والخرافة ويصبح ضخم الجثة، ويعيش من أجل مبادئه وأفكاره وكأنه لم يسافر إلى الغرب ليصبح طبيبا. وهكذا يعود اسماعيل إلى الثقافة الأصلية و

بيئته التى تنكر لها سنوات عديدة ويقول كريم الوائل " أراد يحيى حقي أن يوازن بين بعدى العلم والإيمان كى تحقق المعجزة، لأن خرافة زيت القنديل لم تحل معضلة العمى كما أن العلم وحده لم يشف المريضة من عاهتها. ولذلك كان لابد من الجمع بين العلم والإيمان غير أن يحيى حقي قد جمع بين العلم والخرافة ممثلة فى زيت القنديل، وقد عاد البصر إلى عينى فاطمة حين جمع بين العلم الحديث و زيت القنديل وهذا يعنى أن العلم من غير إيمان لا قيمة له ولأنه أراد أن يشفى فاطمة بعلمه وحده، ولم تستعد بصرها إلا حين استعاد إيمانه"[17].

يقول أحمد إبراهيم الحوارى عن هذه الرواية " إن رواية قنديل أم هاشم من أهم الأعمال الروائية التى عبرت عن أزمة جيل حمل صليبه على كتفيه و مضى إلى أوربا لينهل من مودر العلم والحضارة الغربية ثم عاد فوجد بلده مازال الإستعمار على صدرها ووجد بلده تعانى من التبعية السياسية والإقتصادية وتعانى من التخلف الإجتماعى وانعدام الشخصية الدولية، وجد المثقفون بلادهم فى حالة من الجمود والموات يخيب أمل كل مكافح ويشيع اليأس فى فؤاد كل محب لبلده فعلى حد تعبير اسماعيل فإن أشبع ما تصوره أهون مما رآه. و ليس من شك أن اسماعيل بطل الرواية يبشر بميلاد البطل الإيجابى فى الرواية العربية المعاصرة فى مصر"[18]. وأكد يحيى حقي على أهمية التمسك بالقيم الإجتماعية وخاصة الروحية منها لأن مصر قد ضلت الطريق عندما فقد أبنائها بصيرتهم وتمسكوا بقيم مادية خاوية من الروحانية التى توارثها من الآباء والأجداد ولكن فى إشارة واضحة لضرورة العلم ونهجه الذى يثرى الفكر وليس الخرافات الواهية.

وفي النهاية الرواية امتزج البطل علمه الأوروبي بقوة الروح الشرقية ومعتقدات بلاده، إعتمد على الله ثم على علمه ويديه، فبارك الله في علمه ويديه فنجح في كسب ثقة الناس وأنهى الصراع في نفسه وفي الرواية وهكذا شفيت

فاطمة النبوية التى تزوجها وأنسلها خمسة بنين وست بنات. أما النقاد فوجدوا في اسماعيل بطلا منهزما على اساس أنه رجع من أوربا بالعلم ثم اضطر تحت ظغط الواقع إلى التسليم أمام الخرافات[19]، والحقيقة هي أنه لم يسلم أمام الخرافات بل امتزج العلم الأوروبي بالروح الشرقية وهكذا نجح في الأخير في وظيفته كطبيب[20] وتحرر نفسه وذهنه من ثقل الصراع الداخلي.

الهوامش والمراجع

1) نجيب محفوظ: تقديم لكتاب رسائل يحيى حقي إلى إبنته، ص 9.
2) قنديل أم هاشم ، سيرة ذاتية، ص 43.
3) مجلة الإهرام :رجاءالنقاش،بين يحي حقي وسيدقطب،العدد43175،20 فبراير 2005م.
4) قنديل أم هاشم: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠ م. ص 5
5) قنديل أم هاشم: ص 10.
6) قنديل أم هاشم: ص 21.
7) قنديل أم هاشم : ص 29.
8) قنديل أم هاشم : ص 25.
9) قنديل أم هاشم : ص 39.
10) قنديل أم هاشم : ص 40.
11) قنديل أم هاشم : ص 41.
12) قنديل أم هاشم: ص 47.
13) قنديل أم هاشم : ص 55.
14) قنديل أم هاشم : ص 56.
15) ماجى نور الدين: ملتقى المفكرين و السياسيين العرب، يحيى حقي و قنديل أم هاشم، 07 ديسمبر 2007م.
16) د. حمدى السكوت : ص 425.
17) مجلة شذرات عربية : د. كريم الوائلى، قراءة فى قنديل أم هاشم.
18) أحمد إبراهيم الحوارى : البطل المعاصر فى الرواية المصرية، ص 283.
19) المرجع السابق: ص 276.
20) الدكتور عبدالرحمن واني، قضايا اجتماعية في قنديل أم هاشم، مجلة الدراسات العربية، قسم اللغة العربية جامعة كشمير، العدد 10، ص 159.

رواية الزيني بركات قراءة في الرؤية والتشكيل

محمد تنوير 1

يعد جمال الغيطاني أحد أبرز كتاب الرواية التاريخية الجديدة، حيث انه أسهم بشكل كبير في تطور نظرة كتاب الرواية الى ما يسمي (الرواية التاريخية) و حظيت رواية الزيني بركات منذ صدورها عام 1974م بأهتمام كبير، لأنها شكلت نقلة نوعية في عالم الرواية التاريخية، علي مستوى الشكل والمضمون معا، بحيث انها فارقت بشكل جذري الرواية التاريخية التقليدية التي تعاملت مع التاريخ كمرجع في روايات جرجي زيدان، وتجاوزت المحاكات الفنية الواقعية واسقاط الماضي علي الحاضر كما نرى في روايات نجيب محفوظ وعلي احمد باكثير، واننا نرى في هذه الرواية تستعمل التاريخ ومسرحيته من خلال الترهين والتخطيب، حتى أصبحت هذه الرواية ذات دلالات فكرية متعددة، وتميزت هذه الرواية باستخدام عدد من التقنيات السردية الحديثة التي تقوم علي روئية جديدة في التعامل مع التاريخ وأحداثه وشخصياته وأماكنه المختلفة، واننا نجد في هذه الرواية ملامح وتحولات جديدة التي لم نراها في كتاب الرواية التاريخية من قبل وهي.

أولا :التحولات الموضوعية:

اننا اذا استعرضنا روايات جمال الغيطاني عامة و رواية (الزيني بركات) خاصة نجد فيها التحولات التي أضافها الغيطاني والتي لم يتطرق لها أحد قبله هو تناوله لموضوع الحكم الدكتاتوري القمعي التسلطي الذي يجعل من البص ومراقبة الناس ونقل أخبارهم، فبهذا الاعتبار تعد رواية (الزيني بركات) من

---

[1] الباحث في الدكتوراه بقسم اللغة العربية في جامعه كشمير

الروايات العربية البارزة التي عالجت ظاهرة القمع والخوف، ووقفت علي أسبابها، وبينت مظاهرها المرعبة، ونتائجها الفظيعة، فقدمت عالما روائيا يتسم بالظلم والقهر وانعدام الأمن، ويمتلئ بالفساد والانحراف والاستبداد السياسي، الذي قاد الى الهزيمة في الماضي ومازال يقود العالم العربي الي الهزائم المتتالية في الزمن الحاضر.

واتكأ الغيطاني في تصوير لظاهرة القمع والحكم الجبري التسلطي الذي يعاني منه العالم العربي علي التاريخ ، فاستوحى من أحداث التاريخ المملوكي شخصية الزيني بركات بن موسى كرمز للظلم والفساد والمكر والدهاء،اذ تصور الرواية نهاية حكم المماليك لمصر في عهد السلطان قنصوة الغوري، فتبدأ الرواية بذكر هزيمة النكراء التي لحقت بالمماليك في أثناء تصديمهم للجيش العثماني سنة922م،ثم تعود لتعرض الأحداث التي أدت الى وقوع هذه الهزيمة حيث تم عزل علي بن أبي الجود بسبب فساده وظلمه للرعية، وصدر قرار سلطان بتعيين الزيني بركات محله سنة 912،والذي أظهرته الرواية في البدايةكانسان تقي ورع وحريص على نشر العدل والقضاء على الظلم،

واننا رأينا في أثناء عرض الرواية أشكال القمع والتعذيب المتننوعة كما ذكرت أهم وسائل الأنظمة القمعية في التأثير على الجماهير بالاعتماد الكبير على سياسة الكذب والتضليل الاعلامي ، وكل شيئ يبدو من خلال اللغة التي تستخدمها السلطة الحاكمة في خطبها ومراسيمها وندااتها العامة التي تظهر العدل والحرص على المصلحة العامة والأمر بالمعروف والنهيئ عن المنكر،.و من أمثلة التضليل الاعلامي اظهار نتائج التحقيق مع علي بن ابي الجود وبيان امتلاكه الكثير من الاموال والذهب والعقارات دون ذكر كيفية الحصول على هذه المعلومات، مع التأكيد على الابتعاد عن تعذيب البدن ، و من أشكال استغلال الحس الديني للتأثير على الناس حرص الزيني بركات علي التردد واللقاء مع الناس في المسجد، والعبارة الاتية من احدى خطاباته يظهر ذالك:

"اعذروني اذا رويت لكم فيما رويت بعض أسرار بيتي.

أنتم أخوتي....ياأخوتي...

هل سرقت واحدا منكم؟؟

تآلفت الحناجر ... تسد الفراغ...)

حاشاالله..

هل أنت فاحشة؟؟

لا.. هل ظلمت واحدا منكم؟؟؟

وتداخلت الأصوات. علت، رأيت ابن موسى يشير بيديه....الخ

والملاحظة هنا اختلفت نظرة جمال الغيطاني وروئيته الفكرية عن رويئة كتاب الرواية التاريخية السابقين،فاذا كانت غاية جرجي زيدان من العودة الى التاريخ تعليمية،كما كانت غاية محمد فريد ابو حديد احياء الامجاد العربية.و ارتبطت أفكار كل من نجيب محفوظ وعلى أحمد باكثير فاستوحت التاريخ بغرض توجيه الشعب ضد الاستعمار و مقاومة الاحتلال الأجنبي ، وعكسا على ذالك فان استعداد جمال الغيطاني لفترة من أشد فترة التاريخ المملوكي هي فترةالهزيمة التاريخية في زمن المماليك بالهزيمة المعاصرة لمصر الناصرية أمام الكيان الصهيوني عام 1967م، ليكشف من خلالها عن فساد النظام السياسي ،و يفضح سياساته القمعية الظالمة، فالتاريخ في ذاته لم يكن هدفا عند الغيطاني، بل انه أضحى وسيلة وقناعا ورمزا فنيا للتعبير عن حياة القمح و القهر السياسي الذي تعرض له الشعب المصرى في العهد الناصري وفي ذالك يقول جمال الغيطاني :" عانينا من الرقابة في الستينيات وأسلوب التعامل البوليسي. وأتصور ان هذا كان أحد أسباب علاقتي القوية بالتاريخ[1]

وعلى هذا نجد جمال الغيطاني اعتمد في رواية (الزيني بركات) على كتاب (بدائع الزهور في وقائع الدهور) لمحمد بن أحمد بن اياس الحنفي ، الذي يتعرض لتاريخ مصر في زمن المماليك، ومما يدل على ذالك ورد ذكر ابن اياس اكثر من مرة في الرواية كشاهد للأحداث،

وبناء على ذالك، فرواية الزيني بركات ليست رواية تاريخية بالمعنى الحرفي، بل انها رواية التخيل التاريخي التي تستعين بالتاريخ، لتحوله الى عمل ابداعي خيالي بحيث انه يتحقق المماهاة بين الماضي التاريخي والحاضر

(1)الزيني بركات،ص 203

المعاصر.

التحولات الفنية:

ثانيا: البناء الفني العام:

ابتدع جمال الغيطاني في رواية الزيني بركات نظاما جديدا للبناء الفني الذي لم نجده عند غيره من الكتاب السابقين ، فهو لم يقسم روايته الى فصول كحال الرواية التاريخية عند جرجي زيدان و ابي حديد، ولم يقسمها الى اسفار كما فعل علي أحمد باكثير في رواية الثائر الأحمر، بل اننا نرى يستخدمه في تقسيمه للرواية تسمية جديدة هي (السرادقات) حيث نجد الرواية متكونة من مقدمة وسبعة سرادقات وخاتمة، وهذا اسلوب جديد لم نعهده من قبل، وهكذا نجد مظاهر التجديد في البناء الفني للرواية التاريخية عند الغيطاني بحيث انه وضع عناوين فرعية داخل السرادقات المختلفة، ذات دلالات فنية متنوعة ومرتبطة بمشكلات السرد الاساسية من زمان ومكان وأحداث وشخصيات روائية، وهذا الامر لم نجده لدى الروائيين السابقين امثال نجيب محفوظ وباكثير ونجيب الكيلاني وغيرهم وانما كانوا يستعيضون عنها بارقام متسلسلة يكتفون بها. اما الغيطاني فقد اولى العناوين الفرعية اهتماما كبيرا، وجعلها تسهم في بناء النص الروائي، نجد بعض العناوين الفرعية المرتبطة بالمكان الروائي مثل:(كوم الجارح)،كما ترتبط عناوين أخرى بالدلات الزمانية مثل : (الأربعاء .... عاشر شوال) و(أول الليل.... عاشر شوال)،و تتعرض الكثير من العناوين للشخصيات الروائية مثل(سعيد الجهيني) و(زكريا بن راضي)و(عمرو بن العدوي) وغيرها . وان هذا التنوع الدلالي بما يحمله من ايحاءات يدل على حرص السارد لشمول عناوين روايته وانسجامها مع كافة عناصر ومشكلات البناء الفني للروائي

ثالثا: اللغة واساليب السرد :

وان أهم ملامح التجديد التي تميز اللغة واساليب السرد في رواية الزيني بركات هو اعتمادها على تعدية الأصوات والروئية السردية داخل الرواية، وهذا مالا نجده في الروايلت التاريخية السابقة ولا صلة لها عند جرجي زيدان ونجيب محفوظ وباكثير الذين كانوا يعتمدون في سردهم للأحداث على راو واحد بحيث

يستخدمون الضمائر الغائب من بداية الرواية الى نهايتها. فالامر عند جمال الغيطاني مختلف، فانه يضهر صوت الراوي العليم كلي المعرفة، ويسرد الأحداث ويصف المشاهد باستخدام ضمير الغائب من منظور علوي، اذ يقدم الأحداث انطلاقا من التنقل بين مختلف الأصوات والأماكن داخل الرواية، وقد استعان الراوي العليم براو خارجي آخر وهو الراوي الشاهد الذي يستخدم ضمير المتكلم ويمثله صوت الرحالة البندقي فياسكونتي جانتي وهو شخصية خيالية لا وجود لها في الواقع، وبناء على ذالك فالرواية تمتاز بتعدد الرواة وتعدد الروئية السردية، وهكذا تعد طريقة استخدام سرد الأحداث واللغة من أهم مضاهر التجديد في الرواية الزيني بركات، فرغم اعتماد الغيطاني على المرجعيةالتاريخية واستخدامه للغة الفصحى، الا انه أدخل اللغة العامية الى عالم الرواية التاريخيةفاستعمل اللهجة المصرية العامية مثل : "الحق يا متعوس ، والا علقوالك فانوس [1]،وقد ابدغ الغيطاني في استخدام وتوظيف هذ االعدد من الانماط اللغوية، وبعد ذالك تطورا جديدا وايجابيا ملحوظا ظهر أثره فيمن لحقه من بعد امثال رضوي عاشورو أحمد رفيق عوض وغيرهم، وهكذا لاحظنا ثلاثة أشكال لغوية جديدة، تميز بها السارد عن غيره من كتاب الرواية التاريخية،

رابعا : الشخصيات:

لقد طور الغيطاني من طريقة عرض وتشكيل الشخصية فيما نسميه الرواية التاريخية تجاوزا، خصوصا في تعامله مع الشخصية المحورية التي تدور حولها الأحداث،فاذا كتاب الرواية التاريخية السابقون يعملون علىرسم وتقديم شخصياتهم الروائية بشكل واضح ومباشر ، ولكن الغيطاني منح شخصياته الروائية التي استقاها من التاريخ الحرية الكاملة في تقديم نفسها بطرق مختلفة، بحيث انه لم يعرض صفاتها بشكل مباشر، بل جاءت هذه الصفات متناثرة في ثنايا الرواية بما يخدم تطور الأحداث،وخير مثال على ذالك طريقة عرض السارد لشخصية الزيني بركات بن موسى،وهي بالمناسبة شخصية

[1]- الزيني بركات ص145

تاريخية حقيقية ورد ذكرها في كتاب (بدائع الزهور في وقائع الدهور) لابن اياس اكثر من مرة ،[1]وقد شغل الزيني وظيفة الحسبة في عهد السلطان قنصوة الغوري في السنةالثامنة بعد تسعةمأة للهجرة.... حسب المرجع التاريخي .... واستمر في منصبه حتى بعد انتهاء حكم المما ليك لمصر، وقد جعل السارد من شخصية الزيني بركات محورا رئيسيا لأحداث الرواية، واعتمد في تقديمها على تقنيتين جديدتين هما : تقنية الغموض، وتقنية المفارقات.

1... تقنية الغموض:

اعتمد الغيطاني في وصفه لشخصية الزيني بركات على تقنية الغموض بشكل كبير، فرغم تعرض الرواية لتاريخ معظم الشخصيات الأخرى وحرصها على كشف اسرارها وأعماقها النفسية،الا انها لم تعرفنا بشخصية الزيني بركيت ،بل كانت شخصية غامضة ، مغلقة على عالمها الداخلى من بداية الرواية الى نهايتها، فلا يعلم القلرئي أصول هذه الشخصية وظروف نشأتها، وحجم ثرتها، انما وصلنا صوته ومضمون كلامه معبرا عما يتردد بين الناس في السرادقات المختلفة، ولا شك في ذالك ان اعتماد الكاتب على تقنية الغموض أدى الى زيادة حدة الاثارة و التشويق الى القارئي، اذ ان هذ ا الغموض يحقق نسبة عالية من الجاذبية والتشويق التي تجعل القارئي متحفزا يحاول معرفة واستكشاف شخصية الزيني بركات التي لم يقف على حدودها في الرواية.

2....تقنية المفارقات:

ونرى اتكأ الكاتب على المفارقة والتناقض في بناء شخصية الزيني ، فشخصية الزيني ليست ثابتة، بل انها تجمع بين الكثير من المفارقات والمتناقضات التي لا يتم عرضها بشكل مباشر. ومن ابرز المفارقات المرتبطة بشخصية الزيني ما يأتي:

1...تصوره الرواية انسانا زاهدا فى الحياة ومناصبها، حيث طلب من السلطان على مرأي من الأمراء أن يعفيه من وظيفة الحسبة،لانه يخشى من

[1] - بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج4،ص 71

الوقوع في ظلم الناس ،[1]على الرغم من أنه سعى للحصول على هذا المنصب،

2....تظهر الرواية حرص الزيني على العدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال تصدير نداأته دائما ب"نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر" مع انه في الواقع العملي يمارس كل أشكال القمع والظلم والتعذيب ضد البسطاء من أبناء الشعب، وهكذا نجد معظم المفارقات في هذه الرواية، فأصبح الغيطاني في الرواية التاريخية من أهم الكتاب البارزين الذين ولجوا ملامح التطور والتجديد التي لم يتعرض لها أحد من قبله من كتاب الرواية التاريخية،

المصادر والمراجع:

1. ايقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة،أحمد حمد النعيمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر—بيروت ،ط 1، 204م
2. بانوراما الرواية العربية الحديثة، سيد حامد النساج،دار المعارف –مصر، ط، 1980م،
3. التجليات الملحمية في رواية الأجيال العربية،مريم فريحات،وزارة الثقافة – الأردن ،ط1، 205م،
4. تداخل الأجناس الأدبية في الرواية العربية،صبحة أحمد علقم،وزارة الثقافة—الأردن،ط1996،1م،
5. تيار الوعي في الرواية العربية الحديثة، محمود غنايم،دار الجيل— بيروت،ط1992،1م،
6. رواية الزيني بركات ، جمال الغيطاني ،مؤسسة الطبعة والنشر— بيروت،ط،1997،
7. نقد الرواية في الأدب العربي الحديث في مصر،أحمد الهواري،دار المعارف – القاهرة، ط1990،2،

[1] الزيني بركات ص 41

كتاب الأخبار للجاحظ[1]

(الحلقة الثانية)

امتياز علي العرشي[2]

وأمَّاكتاب الأخبار:

قد ذكر"كتاب الأخبار" فيما بين مؤلفات الجاحظ المعترف بها. ولا وجدت حتى الآن أية نسخة من هذا الكتاب ولا ذكر أحدٌ من المتقدمين مقتبساته وعلى هذا فلم يتعيّن حتى الآن ما هو موضوعه.

ومن حسن المصادفة أني عثرت على مقتبسين طويلين من كتاب الأخبار حين قراءة مخطوطة كتاب "تفسير الحور العين" للقاضي أبي الحسن نشوان بن سعيد الحميري (ت573هـ/1178م)، نقلهما نشوان استشهادًا على المباحث المختلفة. ويتعلق جزء منهما بمقدمة كتاب الأخبار بينما يتصل الجزء الآخر بنفس الموضوع، ويتضح منهما أن موضوعه النقد العقلي على الأحاديث.

وقال الجاحظ في مقدمته إن التاريخ يدلّ على أن الأقوام التي حكمت على الأقوام المعاصرة في رقيّ ثقافتها وحضارتها، إنها أيضًا لا تتصف بنضوج الفكر والعقل في الأمور المذهبية وتكون متورطة في الأوهام والرسوم المروجة كعامة الناس. فكم من أعمال قام بها العرب والهنود وأهل الروم والإيرانيون في مختلف مجالات العلوم والآراء والآداب والصنائع ولكن يبدو جميعهم "فاحش الخطأ" و"قبيح المقال" في شأن الدين.

فأولًا ذكر الجاحظ مآثر هذه الأقوام الأربعة لإثبات دعواه ثم أحصى مناقصهم المذهبية.

وأيضًا قال مثل هذا في شأن المسلمين في المقتبس الثاني وذكر عدة أحاديث من الأحاديث المشهورة من عهده وأراد أن يثبت بها أن المسلمين قد اعترفوا بصحة

---

[1] مترجم من الأردوية : د. أورنك زيب الأعظمي ،مدير تحرير "مجلة الهند" (بالعربية)

"The Indian Journal of Arabic and Islamic Studies"

[2] محقّق هندي شهير

وصداقة الأحاديث التي لا يقبلها العقل والتجربة بأي صورة من الصور بالرغم من رقيهم في العلوم الدنيوية.

إذ أن الجاحظ قد قدّم أقوال أستاذه النظّام في هذا البحث فأنا أفهم أن النظّام هو الذي كتب هذا الكتاب. وقد أيّده أيضًا ابن قتيبة في كتابه الشهير "تأويل مختلف الحديث" إذ أنه خاطب النظّام في محل الجاحظ رادًّا على الاعتراضات العقلية على الأحاديث.

وبعد ابن قتيبة ردّ بالتفصيل المحدث الشهير أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الإصبهاني (ت406هـ/1015م) في كتابه "مشكل الحديث وبيانه" على الاعتراضات العقلية. ولكنه خاطب فرق الجهمية والمعتزلة والخوارج والرافضة والجسمية بدلًا ممن يوجّه الخطاب إلى رجل خاص.

كتاب الأخبار المروية عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم

(1)

(80 ب) قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في كتاب الأخبار:

وبعد فإن الناس يخصّون في الدين من فاحش الخطأ وقبيح المقال بما لا يخصّون به سواه من جمع العلوم والآراء والآداب والصناعات. أ لا ترى أن الفلّاح والصائغ والنجّار والمهندس والمصوّر والكاتب والحاسب (81 ألف) من كل أمة وملة لا تجد بينهم من التفاوت في الفهم والعقل والصناعة، ولا من فاحش الخطأ وإفراط النقص، مثل الذي تجد في أديانهم وفي عقولهم عند اختبار الأديان.

والدليل على ما وصفتُ لك أن الأمم التي عليها المعتمد في العقل والبيان والرأي والأدب والاختلاف في الصناعات من ولد سام خاصة أربع: العرب، والهند، والروم، والفرس. ومتى نقلتهم من علم الدنيا إلى علم الدين، حسبت عقولهم مختبلة وفطرهم مسترقة.

كالعرب، فإنها مخصوصة بأمور: منها البيان ليس مثله بيان،[1] واللغة التي ليس مثلها في السعة لغة؛[2] وقيافة الأثر مع قيافة البشر.[3] وليس في الأرض قوم غير العرب يرون المتباينين في الصور والمتفاوتين في الطول والقصر، والمختلفين في الألوان، فيعلمون أن هذا الأسود ابنٌ لهذا الأبيض، وهذا الطويل ابنٌ لهذا القصير، وهذا القبيح عمٌّ هذا المليح.

وللعرب الشعر الذي لم يشاركهم فيه أحدٌ من العجم.[4]

قال: وقد سمعت للعجم كلامًا حسنًا وخُطبًا طوالًا يسمّونها أشعارًا. فأما أن يكون لهم شعر على أعاريض معلومة وأوزان معروفة- إذا نقص منها حرف أو زاد حرف أو تحرّك ساكن أو سكن متحرّك، كسره وغيّره- فليس يوجد ذلك إلا للعرب خاصة دون غيرهم.

وليس في الأرض قوم أعنى بذمّ جليل القبيح ودقيقه وبحمد دقيق الحسن وجليله من العرب، حتى لو أجهد أفطن البرية وأعقل الخليقة أن يذكر معنى لم يذكروه، لما أصابه.

وللعرب، من صدق الحس وصواب الحدس[5] وجودة الظن وصحة الرأي ما لا يعرف لغيرهم.

ولهم العزم الذي لا يشبهه عزم، والصبر الذي لا يشبهه صبر، والجود والأنفة والحمية التي لا يدانيهم أحدٌ فيها، ولا يتعلق بها (81 ب) رومي ولا هندي ولا فارسي، لأن هذه الأمور كلها بخلاف العرب شيمًا.

ثم لهم من بعد الهمم والطلب بالطوائل ما ليس لغيرهم، مع المعرفة بمساقط النجوم والعلم بالأنواء وحسن المعرفة بما يكون منها للاهتداء.[6]

---

[1] راجع: البيان والتبيين له

[2] راجع: المخصّص لابن سيده، ولسان العرب للإفريقي، وفقه اللسان للكنتوري

[3] راجع: مروج الذهب للمسعودي، 256/1

[4] راجع: العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق القيرواني

[5] بالأصل: الحسن وهو تصحيف ظاهر.

[6] راجع: كتاب الأنواء لابن قتيبة

ولهم حظّ العربية مع الحفظ لأنسابهم ومحاسن أسلافهم ومساوئ أكفائهم للتعاير بالقبيح والتفاخر بالحسن، ليجعلون ذلك عونًا لهم على إتيانهم الجميل واصطناع المعروف، ومزجرة لهم عن إتيان القبيح وفعل العار، وليؤدّبوا أولادهم بما أدّبهم به آباؤهم.[1]

ثم الحفظ الذي لا يقدر أحدٌ على مثله، وإن دوّنه عنده، وخلّده في كتبه.[2]

وخصلة لا تصاب إلا فيهم. وذلك أن العيّ والبيان في كل قوم مبثوث متفرق، ولست واجدًا بالبادية عييًّا رأسًا، على أنهم وإن تفاوتوا في البيان، فليس ذلك بمخرج أخسّم إلى العيّ.

وفيهم أيضًا خصلة لا تصاب إلا فيهم. وذلك أن سفلة كل جيل وعلية كل صنف إذا اشتد تشاجرهم، فطالت ملاحاتهم وكثر مزاحهم والدعابة بينهم، وجدتهم يخرجون إلى ذكر الحرمات وشتيمة الأمهات واللفظ السيّء والسفه الفاحش. ولست بسامع من هذا وشبهه حرفًا بالبادية، لا من صغيرهم ولا كبيرهم ولا جاهلهم ولا عالمهم. وكيف يقولون ذلك، والحيّان منهم يتفانيان في دون ذلك.

وليس في الأرض صبيان في عقول الرجال غير صبيانهم.

وكل شيء تقوله العرب، فهو سهل عليها وبطبيعة منها. وكل شيء تقوله العجم فهو تكلف واستكراه.

وللعرب البديهة في الرأي والقول خاصة.

ولهم الكنى مع الأسماء خاصة- وهي من التعظيم- وقد زعم قوم من الفرس أن فيهم الكنى. واحتجوا بقول عديّ بن زيد:[3]

---

[1] راجع: أنساب قريش لزبير بن بكّار القرشي، وأنساب الأشراف للبلاذري، وكتاب الاشتقاق لابن دريد، وجمهرة النسب لابن حزم الظاهري

[2] راجع: تذكرة الحفاظ للذهبي وغيرها من الكتب التي فيها تراجم العلماء والشعراء والأدباء

[3] لترجمة الشاعر راجع: سمط اللآلي، ص 221 لأستاذي الميمني أدام الله فضله، والأغاني، 35/2، ومعجم المرزباني، ص 141، والشعر والشعراء لابن قتيبة، ص 34

أين كسرى. كسرى الملوك أبو سا سان،[1] أم أين قبله سابور

وليس كذلك. إنما كناه عديّ بن زيد على عادته حين أراد تعظيمه، إن صحّت الكنية في هذا البيت. فأما أبو عمرو بن العلاء ويونس النحوي وأبو عبيدة فرووا (82 ألف) جميعًا أن عديًا قال:[2]

أين كسرى، كسرى الملوك أنو شر وان، أم أين قبله سابور

فأخطأ الرواية. وقيل ذلك عنه من لا علم له. وليس في الأرض عجمي له كنية إلا أن تكنيه العرب.

وليس في الناس أشدّ عجبًا بالخيل من العرب، ولا أصنع لها، ولا أكثر لها ارتباطًا، ولا أشدّ لها إيثارًا، ولا أهجى لمن لا يتخذها، أو لمن اتخذها وأهانها وأهزلها، ولا أمدح لمن اتخذها وأكرمها ولم يهنها. ولذلك أضيفت الخيل إليهم بكل لسان، حتى قالوا جميعًا: هذا فرس عربي. ولم يقولوا، هذا فرس هندي ولا رومي ولا فارسي. فحصّنوها تحصين الحرم، وصانوها صون الأعراض، ليبتذلوها يوم الروع، وليدركوا عليها الثار.

وكانوا يؤثرونها على أنفسهم وأولادهم، ويصبرون على مئونتها في الجدب والأزل، ويغتبقون[3] بالماء القراح، ويؤثرونها بالحليب، لأنها كانت حصونهم ومعاقلهم. وقالوا في إيثارها أشعارًا كثيرة في الجاهلية والإسلام، ليقتدي الآخر منهم بالأول، وليبقى ذكر مآثرهم وقديم مفاخرهم.[4]

---

[1] كذا في الشعر والشعراء لابن قتيبة، ص 35، ومعجم المرزباني، ص 249، والمعرب للجواليقي، ص 194 و282، واللسان، 81/8

[2] كذا في الأغاني، 24/2، والمروج، 129/1، والمعرب للجواليقي، ص 30، والأمالي لابن الشجري، 91/1، وشعراء النصرانية، ص 465، وفي المروج والأمالي: "خير الملوك".

[3] أي ليشربون

[4] راجع: كتاب الخيل لأبي عبيدة، وكتاب الخيل للأصمعي، والخيل وفرسانها للخوري، والخيل و-سباقها لزهاويزاده

فمن أشعارهم في الجاهلية قول الأسعر[1] الجعفي. واسمه مرثد بن حمران. وكنيته أبو حمران. سمّي الأسعر ببيت قاله وهو:

فلا تدعني الأقوام[2] من آل مالك إذا أنا لم أسعر عليهم وأثقب

وهذا قوله:[3]

لكن قعيدة بيتنا مجفوّة بادٍ جناجنُ صدرها ولها غنا

تُقفَى بعِيشة أهلها وثّابة أو جُرشُع عَبل المحازم والشوى

وقال خالد بن جعفر بن كلاب:[4]

أريغوني إراغتكم، فإني[5] وحذفة كالشجا تحت الوريد

---

[1] بالأصل بالشين المعجمة. والتصحيح من الاشتقاق لابن دريد، ص 243، وليراجع أبو عبيدة في الخيل، ص 10 و99 وابن قتيبة في المعاني الكبير، 35/1، والآمدي في المؤتلف، ص 47 والأستاذ الميمني في سمط اللآلي، ص 94

[2] في الاشتقاق والسمط:

فلا يدعني قومي لسعد بن مالك لئن أنا لم أسعر عليهم وأثقب

وكذا في المؤتلف إلا أن فيه: إذا أنا إلخ

[3] راجع: السمط، وشمس العلوم للحميري، ص 286. وفي السمط: "يقول: نؤثر هذه الفرس الوثابة أو الجرشع على قعيدة بيتنا، فهي هزيلة باد جناجن صدرها على غناها. والجناجن عظام الصدر واحدها جنجن". أقول: وتقفي: تؤثر، وجرشع: العظيم من الإبل والخيل، ويقال: العظيم الصدر المنتفخ الجنين. والعبل الضخم، والمحازم جمع محزم بكسر الميم وهو الحزام، والشوى اليدان والرجلان والأطراف

[4] قال أبو عبيدة في الخيل، ص 10: "ومما قالت العرب في الجاهلية في اتخاذ الخيل وصيانتها وأثرها لما كانت لهم فيها من المكرمة والعز والجمال قول خالد بن جعفر بن كلاب يذكر فرسه، وكانت تدعى حذفة" وليراجع اللسان، 385/1

[5] في اللسان فمن يك سائلًا عني، فإني= وحذفق إلخ

مقرّبـــة أســـوّيها بجـــــــــزء[1] وألحفهـــا ردائـــي فـــي الجليـــــد

وأوصـــــي الحـــالبينِ ليؤثراهـــا[2] لهـــا لـــبنُ الخليّـــــة والصـــعود

وقال الضبي:[3] (82 ب)

نولّيهـــا الصـــريح، إذا شـــتوها علـــى عِلّاتِنـــا ونلـــي الســـمارا

وقال عمرو بن مالك:

وســابحٍ كعقــاب الــدجن أُجملــه[4] دون العيــال، لــه الإيثــار واللَطَـف

وقال خزز بن لوذان،[5] وقيل لعنترة:[6]

---

[1] وفي رواية أبي عبيدة في الخيل: "أسوّيها بنفسي أو بجزء".

[2] وفي تلك الرواية: "أمرت الراعيين ليكرماها". وفي اللسان، 624/17: "أمرت بها الرعاء ليكرموها". ويروى: "أمرت الراعيين ليكرماها، وقال: الخلية من الإبل المطلقة من العقال، وفيه (243/4): "قال الليث: الصعود الناقة يموت حوارها، فترجع إلى فصيلها، فتدر عليه. ويقال: هو أطيب للبنها. وأنشد لخالد بن جعفر يصف فرسًا: أمرت لها الرعاء إلخ. قال الأصمعي: ولا تكون صعودًا حتى تكون خادجًا. والخلية الناقة تعطف مع أخرى على ولد واحد، فتدرّان عليه، فيتخلى أهل البيت بواحدة يحلبونها".

[3] لعله شمعلة بن الأخضر كما في الخيل لأبي عبيدة، ص 42: والصريح اللبن الخالص، والعلات الشئون والحالات المختلفة، والسمار اللبن الكثير الماء الرقيق.

[4] بالأصل: أجعله، والتصحيح من الخيل لأبي عبيدة، ص 3. والدجن الغيم المطبق المظلم

[5] بالأصل: جرير بن لوزان. والصحيح من الاشتقاق لابن دريد، ص 212، والأمالي لابن الشجري، 260/1، والمؤتلف للآمدي، ص 102. ونسبها أبو عبيدة والأصمعي لخزز.

[6] راجع: ديوانه، ص 33 (طبع مصر، 1329هـ) وص 12 (طبع بيروت، 1881م)، والمعاني

لا تـذكري مُهـــري[1] ومـا أطعمتـه فيكون جلدك مثل جلد الأجــرب

كـذب العتيـــق، وماء شـنٍّ بـاردٌ إن كنتِ سـائلتي غبــوقًا،[2] فـاذهبي

إنـي امـرؤ[3] إن يأخـذوني[4] عَنـــوة أقـرن إلى شـــرِّ[5] الركـاب وأُجنَـب

إنـي لأخشـى أن تقـــول خلـيلتي:[6] هـذا غبـــــــار سـاطع، فتلبّـب

إن العـــــدوّ[7] لهـم إليـك وسـيلة إن يأخـــــذوك تكحّلـي وتطيّـب[8]

وقال لبيد بن ربيعة:[9]

معاقلنـــا الـــتي نـــأوي إليهـــا بنـــات الأعوجيّـــة والســـيوفُ

الكبير، 89/1، والسمط، ص 86

[1] في ابن الشجري، 261/1: فرسي

[2] بالأصل: عتوقًا. والصحيح من طبعة الديوان المصرية. والغبوق ما يشرب في العشي من اللبن. وقال ابن قتيبة في المعاني الكبير: يقول، عليك بالتمر والماء البارد. ووعي اللبن لفرسي. يقال: كذب عليكم الحج، معناه: الزموا الحج. فإن سألتني غبوقًا، فاذهبي، أي أنت طالق. أقول: الشن القربة الخلق الصغيرة.

[3] في الديوان وابن الشجري: "وأنا امرؤ".

[4] بالأصل: "تأخذوني" والصحيح من الديوان وغيره

[5] بالأصل: سير. وفي طبعة الديوان البيروتية: شد

[6] في الديوان وابن الشجري: إني أحاذر أن تقول ظعينتي.

[7] في الديوان والمعاني: الرجال.

[8] في الديوان والمعاني وابن الشجري: تخضبي".

[9] والبيت لا يوجد في الديوان

وقال مرّار بن منقذ الحنظلي:[1]

أخلصـــته حـــولين أمســـح وجهـــه وأخـو المواطن من يصـون ويـدأب[2]

وجعلتـــه دون العيـــــال مقرّبًـــا حتى انجلت، وهـو الدخيـل المقرب

وقال طفيل بن عوف الغنوي:[3]

إنـي، وإن قـلّ مـالي، لا يفـارقنـي مثـل النعامـة في أوصـــالها طـول

أو سـاهم الوجه، لم تُقطع أباجُله يُصَـان، وهـو ليـوم الـروع مبـذول

تقريبه[4] المرطى، والجـورُ معتـــدل كأنـــه ســـبد بالمـــاء مغســـــول

وقال آخر:

بـني عـــامر، إن الخيـــول وقايـة لأنفســكم، والمـوت وقـت مؤجّـل

أهينـوا لهـا مـا تكرمـون، وباشـروا صـيانتها، والصـون بالخيـل أجمـل

مـتى تكرمـوها، يكـرم المـرأ نفسـه وكـل امـرأ مـن قومـه حيـث يـنزل

---

[1] راجع: المؤتلف للآمدي، ص 167، ومعجم المرزباني، ص 409، وسمط اللآلي، ص 70 و832

[2] المواطن جمع موطن، وهو مشهد من مشاهد الحرب، ويدأب يجد ويتعب ويستمر في العمل.

[3] راجع: العقد الفريد، 124/1، وترجمته في السمط، ص 210، والشعراء لابن قتيبة، ص 104، المؤتلف للآمدي، ص 147 و184

[4] في العقد: تقريبها

وقال آخر من تميم، وقد سأله بعض الملوك فرسًا يقال له (83 ألف) سكاب، فمنعه إياه:

أبيت اللعن، إن سكاب علقٌ[1] نفيس، لا يعار ولا يباع

مفدّاة مكرّمة علينا تجاع لها العيال، ولا تجاع

سليلة سابقين تناجلاها يضمّهما، إذا نسبا، الكراع

وفيها عرة من غير نفر[2] نحيّدها،[3] إذا حرّ القراع

فلا تطمع، أبيت اللعن، فيها ومنعكها لشيء نستطاع

وكفّي تستقلّ بحمل سيفي وبي ممن تهضّمني[4] امتناع

وحولي من بني قحفان شيب وشبّان إلى الهيجا سراع

إذا فزعوا، فأمرهم جميع وإن لاقوا، فأيديهم شعاع

ولهم أشعار كثيرة غير هذه في إكرام الخيل في الجاهلية غير ما قالوا في الإسلام.

---

[1] العلق: النفيس من كل شيئ

[2] الكراهة

[3] أي نجعلها على حيده

[4] أي كسرني وظلمني

قال: وهم، مع ما حكيت لك من صحة العقل وكرم الطبيعة وحسن البيان وسعة المعرفة وجودة الرأي وشدة الأنفة، يعبدون الحجارة، ويحلفون بها، ويحاربون دون كسرها وتهجينها، وينسكون لها، ويدعونها آلهة، ويخاطبونها، ولا يستجيزون عيبها، وينكرون على من ينتقصها.

ثم مع ذلك ربما رموا بها، واتخذوا سواها.

ثم كانوا يرون أن الرجل منهم إذا مات، فلم يأخذ وليّه بعده بعيره، فيحفر له حفرة، ثم يقيّده على شفيرها، ويطرح بردعته على وجهه ورأسه، ثم لا يسقيه ولا يعلفه حتى يموت، أن ذلك الرجل الميت يزعمهم يجيء يوم القيامة حافيًا راجلًا. وإذا فعل ذلك، أتى راكبًا. وذلك البعير البلية.[1] قال أبو زبيد:[2]

كالبلايـــا رؤســـها فـــي الولايـــا مانحـــات الســـموم، حـــرّ الخـــدود

يعني الناقة التي كانت تعكس على قبر صاحبها، ثم تطرح الولية على رأسها إلى أن تموت.

وقال الطِّرِمّاح:[3] (83 ب)

منـــازل لا تـــرى الأنصـــاب فيهـــا ولا حفـــــر المبلّـــــى للمنـــــــون

أي أنها منازل أهل الإسلام دون أهل الجاهلية.

ويقولون: أيما رجل قتل، فلم يطلب وليه بدمه، خلق من دماغه طير يسمّى هامة.[4] فلا يزال يزقو على قبره وينعى إليه عجز وليّه، حتى يبعث. قال

[1] راجع: ابن قتيبة في مختلف الحديث، ص 126، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، 454/2، والحميري في شمس العلوم، ص 187

[2] لترجمته راجع: سمط اللآلي، ص 118

[3] لترجمته راجع: أول ديوانه، والأغاني، 148/10

[4] راجع: مروج الذهب، 251/1، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، 454/2، وحيوة

الشاعر:

فـإن تـك هامـة بهـراة تزقـو فقـد أزقيـت بـالمروين[1] هامـا

وقال جربة بن الأشيم الأسدي،[2] وهو أحد شياطين بني أسد وشعرائها:

لا تزقـون لي هامـة فـوق مرقـب فـإن زقـاء الهـام أخبـث خابـث[3]

وقال توبة بن الحميّر العامري ثم الخفاجي:[4]

فلـو أن ليـلى الأخيليـة سـلّمت عليّ، ودوني تربـة وصفـائح

لسـلّمت تسـليم البشاشـة، أو زقـا إليها صدى من جانب القبر صائح[5]

وكانوا يقولون:

..... يتبع إن شاء الله

الحيوان للدميري، 650/2

[1] المراد مرو الشاه جان ومرو الروذ

[2] لترجمته راجع: المؤتلف للآمدي، ص 77

[3] في ابن أبي الحديد، 454/2: ولا تزقون --- للمرأ غائب.

[4] لترجمته راجع: سمط اللآلي، ص 120

[5] والأبيات توجد في المروج، 252/1، وابن أبي الحديد، 454/2، والسمط، ص 120، وحيوة الحيوان للدميري، 101/2 باختلاف يسير

مصطفى صادق الرافعي
ومميزاته اللغوية العربية

سوميت سيرئيامان [1]

إن العربيـة لغـة تطلبـها الشـعوب المسـلمة، وتحـرص على تعلمهـا لارتباطها بدينها وعبادتها مما يوجب على كل قادر تيسير تعليمها، لكل راغب في تعلمها عن طريق مده بالكتب والمواد التعليمية التي تحقق هدفه.

إن اللغة العربية لها قيمة عظيمة جوهرية في حياة الأمم، فإنها أداة تحمل الأفكار، وتنقل المفاهيم بين الناس، وتقيم بذلك روابط الاتصال بين أبناء الأمة. وإن اللغة هي صورة وجود الأمة بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها وجودا متميزا قائما بخصوصيتها، تتحد الأمم بها في صور التفكير والأساليب والدقة في تركيب الألفاظ تدل على دقة الملكات والمواهب في القبائل والأجيال.قد تناول الرافعي في هذا المجال قيم اللغة العربية من كل ناحية من نواحيه، كما تناول القيم في كتابة موضوعات إعجاز القرآن الكريم، وأفاض في بيان ذلك بما يزيد في اليقين.

خصوصية الرافعي في المزج بين الدين واللغة

اللغة العربية سمة من سمات الإسلام لا تنفصل عنه ولا ينفصل عنها، بل هي الدين نفسه، لأن القرآن الكريم أنزله الله تعالى باللغة العربية، والرسول عربي، وأصبح تعلمها واتقانها ومعرفة قواعدها وأسرارها واجبا لكل من يتعلم القرآن الكريم والسنة النبوية، وهذا لا يتم إلا بفهم اللغة العربية وقواعدها، وهي علاقة متينة راسخة للأمة العربية.

لقد نمت الملكية الأدبية عند الرافعي مبكرة خصيبة في نطاق الشعر، وإذا كان لابد للشاعر من أن يهذب شاعريته وينميها بالقراءات المتعددة بمختلفة الألوان المتشعبة والموضوعات.قد عمد الرافعي إلى ذلك يثرى معلوماته اللغوي بحفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وموافق الأعلام في

---

[1]. الباحث التايلاندي بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة عليكره الإسلامية.

التاريخ الإسلامي، وحفظ أكبر قدر من شعر القدامي والمحدثين وخطب العرب ومحاوراتهم ومنافراتهم في الجاهلية، ودورهم الخطابية في الإسلام. لقد كانت هذه الثقافة بإطارها هي التي خلقت عند الرافعي نظرية المزج بين اللغة والدين، فكل من يحاول الاعتداء على اللغة أو الغض من شأنها أو النيل من قدرها، فإنما هو يحارب الإسلام علنا أو استتارا، وهي نظرية أثبتت الأيام صحتها، فالعربية هي لغة القرآن الكريم، أكثر الكتب السماوية قداسة وأعظمها هداية وأبلغها إعجازا، والعربية هي لغة الحضارة الإسلامية التي عمت نصف الكرة الأرضية لعدة قرون من الزمان[1].

لقد غدت اللغة العربية تحمل رسالة سماوية ورسالة إنسانية بمفاهيمها وأفكارها استطاعت أن تكون لغة حضارة إنسانية واسعة اشتركت فيها الأمم اعتبروها جميعا لغة دين الإسلام وثقافته وحضارته وتاريخه، لأن اللغة العربية أساسية وحدة الأمة المحمدية، ومرآة حضارتها التي نسبت إلى قبائل العرب والأجانب.

على أن ثقافة الرافعي الواسعة العميقة وملكته الخصبة المؤاتية، قد أتاح له أن يسهم في كل فن من فنون القول العربي بنصيب، وكل لمحة من لمحات الفكر الإسلامي بقدر ذي قيمة وخطر وأثر، فقد كان الرافعي شاعرا مبدعا وكاتبا بارعا، كما كان ناقدا غلبت عليه حدة القول، ولكنه في نفس الوقت كان ثاقب النظرة لماح الخاطر وافر الانتاج، ثم هو لغوي يفهم سر العربية التي أسلست له قيادها طوعا وحبا، فكانت جملته فصيحة محتوى الألفاظ، مشرقة سبك الديباجة ثرية مناهل المعاني، رشيقة فصائل المضمون[2].

إن اللغة العربية بفضلها حفظ الله تعالى لها المتمثل في حفظ القرآن الكريم، ثم بفضل خصائصها عن سائر لغات العالم، وبفضل إيمان أبنائها بأهميتها ومكانتها، وفي هذا الشأن قول الله تعالى ببيان فضل اللغة العربية

---

[1]. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، الطبعة التاسعة 1973م، دارالكتاب العربي- بيروت،ص 24.

[2]. المصدر نفسه, ص 25.

وعلاقتها بالدين :{إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون}[1]. وقوله تعالى :{إنا جعلناه قرءنا عربيا لعلكم تعقلون}[2].وقول الإمام السيوطي :"ولا شك أن علم اللغة من الدين لأنه من الفروض الكفايات وبه تعرف معاني ألفاظ القرآن والسنة[3].

فإن اللغة العربية زاوية لا سبيل للنهوض بالعالم الإسلامي والعربي إلا بها وبالدين، وقد عبر الرافعي عن هذه المسؤولية التي حملها على عاتقه حين يقول : ما ذلت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهان وإذبار، ومن هذا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضا على الأمة المستعمر، ويركبهم بها، ويشعرهم عظمته فيها"[4].

وبالمهم أن اللغة العربية لغة القرآن الكريم والسنة المطهرة ولغة التشريع الإسلامي بحيث يكون الاعتزاز بها اعتزازا بالإسلام والتراث والثقافة والخضارة الإسلامي، فهي أساسية مقومات الأمة الإسلامية والتاريخية والخلقية.

فكرة نهضة اللغة العربية عند الرافعي:

في تاريخ مصر بعد نزول الحملة الفرنسية على أرض مصر سنة 1798م، ، ثم سيطر حكم مصر، ثم دخلت الإنجلترا على مصر أيضا وسيطرت كل النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية، كما أدخل اللغة الإنجليزية في المدارس والجامعات بدلا من اللغة العربية. لا سيما في التعليم، حيث أبدل اللغة اللغة العربية في المدارس والجامعات باللغة الإنجليزية.

وبهذه النهضة يؤكد الرافعي أسباب ضعيفة اللغة العربية :" أن لغة الأمة كانت الهدف الأول للمستعمرين، فلن يتحول الشعب أول ما يتحول إلا من لغته، إذ يكون منشأ التحول من أفكاره وعواطفه وآماله، وهو إذا انقطع من نسب لغته انقطع من نسب ماضيه، ورجعت قوميته صورة محفوظة في

---

[1]. سورة يوسف : 12\2

[2]. سورة الزخرف : 43\2

[3]. المزهر، الإمام السيوطي، المجلد الثاني، دار الإحياء الكتب العربية، ص 302.

[4]. وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي، الجزء الثالث ، المكتبة العصرية، ص 29.

التاريخ"، ويقول :"فاللغات تتنازع القومية، ولهي احتلال عقلي في الشعوب التي ضعفت عصبيتها، وإذا هانت اللغة القومية على أهلها، أثرت اللغة الأجنبية في الخلق القومي ما يؤثر الجو الأجنبي في الجسم الذي انتقل إليه وأقام فيه[1].

قد جاءت دعوة الرافعي للنهوض بها حتى تتحقق نهضة الأمة، حين يقول :"أما إذا قويت العصبية وعزت اللغة، وثارت لها الحمية، فلن تكون اللغات الأجنبية إلا خادمة يرتفق بها، ويرجع شبر الأجنبي شبرا لا مترا، وتكون تلك العصبية للغة القومية مادة وعونا لكل من هو قومي، فيصبح كل شيء أجنبي قد خضع لقوة قاهرة غالبة، هي قوة الإيمان بالمجد الوطني واستقلال الوطن، ومتى تعين الأول أنه ألأول، فكل قوى الوجود لا تجعل الذي بعده شيئا إلا أنه الثاني"[2].

كما قاوم الرافعي دعوات كثيرة من المفكرين العرب الذين يدعون إلى اتجاه التغريبي من أمثال الدكتور طه حسين وسلامة موسى وقاسم أمين وغيرهم من المفكرين العرب.

لقد نظرالرافعي أمامه فوجد مجموعة من الكتاب والأدباء يناصبون العربية والإسلام العداء،واتضح في النهاية أن هناك مؤامرة متعددة الأطراف, متباينة الأساليب, تنتهي إلى هدف واحد هو إعلان الحرب على اللغة العربية,وإشاعة التفتيت في جسم الأمة العربية، والنيل من قدسية المبادئ الإسلامية، فظهرت هناك فئة تنادي بالعامية وتتحمس لها وتطالب بجعلها لغة للكتابة، وكان هناك من ينادي بالفرعونية, مذهبا وقومية محاولا أن يقطع كل صلة بين اللغة والعروبة عن طريق اشاعة العامية[3].

وكان هؤلاء يعملون بلا شك لحساب الاستعمار الذي مزق الامة العربية وقسمها شيعاوأحزابا، وكان هناك من يروج للتراث الأوربي قديمه

---

[1]. وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي، الجزء الثالث، المكتبة العصرية، ص 29، 30.

[2]. المصدر نفسه، ص 30.

[3]. بلاغة القرآن في أدب الرافعي، الدكتور فتحي عبد القادر فريد، دار المنار للنشر والتوزيع بالقاهرة، ص 27.

وحديثه، محاولة منه لصرف الامة عن تراثها وأمجادها، وصورتها الحقيقية المشرقة التي امتلأت بألوان المجد الفكري والجمال الروحي والإمتاع النفسي[1].

حتى تواصلت دعوات تمصير اللغة واحلال العامية بدل الفصحى أو مزجها بها، ولم تقتصر على سلامة موسى، بل تعدتإلىأشخاص قد تبنوا تلك الدعوات وكان منهم الأستاذ أحمد لطفي السيد، وكانت دعوته إلى إحياء العربية باستعمال العامية، ويرد الرافعي على دعوات القوم التي انبرى لها, فيدحض هذه الآراء بالعقل والمنطق، ويقول:"لو أننا فعلنا ذلك وانحزنا إلى جانب عاميتنا، وكذلك فعل كل قطر عربي مع عاميته لانتهت العربية وقضي على العرب"[2].

وبهذه النهضة يرى الرافعي :"أن في العربية سرا خالداهو هذا الكتاب المبينالذي يجمع العرب جميعهم على لغة واحدة، وهوجنسية لغوية تجمع أطراف النسبة إلى العربية، وقد أثر القرآن الكريم في اللغة العربية فكتب لها الخلود, وقضى بأن تجري على ألسنة الأجيال من المسلمين غضة حية مع تطاول الأزمان، ولقد كان من إعجاز القرآن أن يجمع العرب على صف من هذه الجنسية العربية, لاعصبية فيها إلاعصبية الروح، إذأخذهم بالفطرة حتى ألفّ بين قلوبهم ، وساوى بين نفوسهم ومن هذا المعنى نشأت الجنسية العربية[3].

قد كانت نزعة الرافعي في هذه النهضة تبدأ من تأليفه للكتاب (تاريخ آداب العرب) للجزء الأول تحدث عن كلمة الأدب فتقلب مع أدوارها اللغوية وأحوالها وأبان عن معناها النفسي في العصرين الجاهلي وصدر الإسلام، وبعد ذلك تحدث عن أصل اللغة وفرق بين التوقيف والمحاكاة مع السلسلة التاريخية لتطور الألسنة، وأشار إلى عماد اللغات العربية، ثم تحدث عن نمو العربية وطرق الوضع فيها من الارتجال والاشتقاق والمجاز، ثم أنواعها، كما

---

[1]. الرافعي وإعجاز القرآن, الدكتور مصطفى الشكعة, الطبعة الثانية 2010م, المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية, مصر ، ص 33.

[2]. المراجع نفسه، ص 45.

[3]. تحت راية القرآن، مصطفى صادق الرافعي، المكتبة العصرية، ص 39.

كتب في تمدن العرب اللغوي وأسرار النظام اللغوي، ثم عرض كذلك للعامية واللحن وانتشاره وفساد اللغة في البادية وطبائع الأعراب، وغيرها من الموضوعات المتعلقة باللغة العربية[1].

وترى الدكتورةنعمات أحمد فؤاد بأن الرافعي في دفاعه عن اللغة العربية الفصحى والقرآن رسول للعروبةوالإسلام فهو يبعث الحمية في نفس كل مسلم، ويوقظ النخوة العربية في قلب كل عربي، وما عادى عدوا قط من أدباء العربية إلا للدين أو للغة العربية أو القرآن، وما اتخذ صديقا من رجال الأدب والسياسة، إلا للدين أواللغة أو القرآن[2].

إذا كانت اللغة العربية في جميع منزلتها المذكورة، وكانت أمتها حريصة عليها، ناهضة بها، متسعة فيها، مكبرة شأنها، فما يأتي ذلك إلا من روح التسلط في شعبها والمطابقة بين طبيعته وعمل طبيعته، وكونه سيد أمره، ومحقق وجوده، ومستعمل قوته، والآخذ بحقه، فأما إذا كان منه التراخي والإهمال وترك اللغة للطبيعة السوقية، وإصغار أمرها، وتهوين خطرها، وإيثار غيرها بالحب والإكبار، فهذا شعب خادم لا مخدوم، تابع لا متبوع، مكتف بضرورات العيش، يوضع لحكمه القانون الذي أكثره للحرمان وأقله للفائدة التي هي كالحرمان"[3].

وقد لم يقتصر الرافعي نهضته في اللغة على شكل الكتابة والنثر فقط، وإنما كانت نهضته بشكل الشعر يدور حول الأحزان في إهمال العرب للغتهم الأم التي يكيد لها أبناؤها، حينما وصلت اللغة العربية إلى المشارق والمغارب، ثم يشير إلى اللغة العامية التي لا تعرف إلا بين الناطقين بها، لكن أن اللغة العربية الفصحى كانت الأمة كلها تشترك فيها، وتتبين ملامحها، قد أتى الرافعي

---

[1].الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد، مصطفى نعمان البدري، الطبعة الأولى 1991م، دار الجيل- بيروت, ص 258، 259.

[2]. دراسة في أدب الرافعي ، الدكتورة نعمات أحمد فؤاد، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي- بيروت 1963م، ص 65، 66.

[3]. وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي، الجزء الثالث، المكتبة العصرية، ص 29.

قصيدته بعنوان "اللغة العربية والشرق" حيث يقول :

أم يكيد لها من نسلها العقب ولا نقيضة إلا ما جنى النسب
كانت لهم سببا في كل مكرمة وهم لنكبتها من دهرها سبب
لا عيب في العرب العرباء أن نطقوا بين الأعاجم إلاأنهم عرب

والطير تصدح شتى كالأنام وما عند الغراب يزكى البلبل الطرب..[1]

إن في هذا الأمر أن اللغة العربية ليست أمر المفردات فقط، ولكنها أمر الأوضاع والتراكيب، لأن اللغة العربية الراقية هي التي تتميز بوجوه تركيبها، ونسق هذه الوجوه فيها، أما اللغة العامية لا تصلح في تراكيبها وصيغها للكتابة ما لم تفصح على وجه من الوجوه.

وكان للرافعي طريقته البارعة في التهكم الساخر لمن يميل إلى اللغة العامية، ويستعمل اللغة الأجنبية بدلت من لغة الأم، ويقول :"كان حضره صاحب السعادة يتكلم الباشا باللغة العربية التي تلعنها العربية, مرتفعا بها عن لغة الفصيح ارتفاعا منحطا، نازلا بها عن لغة السوقة نزولا عاليا، فكان يرتضخ لكنة أعجمية بينا هي في بعض الألفاظ جرس عال يطن, إذ هي في لفظ آخر صوت مريض يئن, إذ هي كلمة ثالثة نغم موسيقي يرن, ورأيته يتكلف نسيان بعض الجمل العربية ليلوي لسانه بغيرها من الفرنسية, لا تظرفا ولا تملحا ولا إظهارا لقدرة أو علم, ولكن استحابة للشعور الأجنبي الخفي المتمكن في نفسه, وفكانت وطنية عقله تابى, إلا أن تكذب وطنية لسانه, وهوبإحداهما زائق على قومه, وبالأخرى زائق على غير قومه"[2].

يريد الرافعي أن يعرض فكرة العرب الذين يريدون تكلم اللغة الأجنبية بدلا عن لغتهم العربية لكن لم يجيدوا اللغتين معا عند التكلم، بل هؤلاء يريدون أن يعيب اللغة العربية وتدميرها وتنزيلها إلى اسفلها, لأنهم لا يريدون لدين الإسلام, ولا يحبون له أن يجعل هذه اللغة باقية في بلادهم وثراثهم

[1].ديوان الرافعي (وشرحه محمد كامل الرافعي)، مصطفى صادق الرافعي، الجزء الثاني، طبع بمطبعة الجامعة بالاسكندرية 1322ه، ص 14.

[2].وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي، الجزء الثاني، المكتبة العصرية 2002م، ص 279.

وحضارتهم. فكان الرافعي هو سيد بلغاء هذا العصر في نسقه الأسلوبي الممتد بجذوره إلى أعرق أساليب الفصاحة في عهدها الزاهر.

المصادر والمراجع

1. إعجازالقرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، الطبعة التاسعة 1973م، دارالكتاب العربي- بيروت.
2. بلاغة القرآن في أدب الرافعي، الدكتور فتحي عبد القادر فريد، دار المنار للنشر والتوزيع بالقاهرة، مصر.
3. تحت راية القرآن، مصطفى صادق الرافعي، المكتبة العصرية،بيروت.
4. دراسة في أدب الرافعي ، الدكتورة نعمات أحمد فؤاد، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي- بيروت 1963م.
5. ديوان الرافعي (وشرحه محمد كامل الرافعي)، مصطفى صادق الرافعي، الجزء الثاني، طبع بمطبعة الجامعة بالاسكندرية 1322هـ
6. الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد، مصطفى نعمان البدري، الطبعة الأولى 1991م، دار الجيل- بيروت.
7. الرافعي وإعجاز القرآن, الدكتور مصطفى الشكعة, الطبعة الثانية 2010م, المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية, مصر.
8. المزهر، الإمام السيوطي، المجلد الثاني، دار الإحياء الكتب العربية.
9. وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي، المكتبة العصرية, بيروت.

ميخائيل نعيمةآثاره وجهوده القصصية
(1889-1988)

الدكتورة عا ئشة صديقة عثماني

حياته وثقافته

الأستاذ ميخائيل نعيمة هو واحد من رواد ذلك الجيل الذى قاد النهضة الفكرية والثقافية فى العالم العربى وساهم فى حركة التجديد والإنفتاح على الثقافة العالمية. "ولد هذا الأديب الشهير فى قرية بسكنتا من لبنان فى 17 أكتوبر سنة 1889م من أبويه مسيحيين".[1] فقد عاش كلاهما حتى جاوزا ثمانين من عمرهما وانهما رزقا أولادا كثيرون. وكان ميخائيل نعيمة هو الثالث منهم و كانت قرية بسكنتا جميلة وهذا الجمال له أثر كبير فى نفسيه نعيمة و إحساسه و اتقاد قريحته و دقته و عواطفه وخياله. وذلك الوادى الخصب أوحى لنعيمة كثيرا من قصائده وأفكاره. وفى هذه القرية السحرية ترعرع ميخائيل نعيمة و أمضى فيها أيام حياته الأول و صباه.أما بالنسبة للتعليم والثقافة فدرس المرحلة الإبتدائية فى بسكنتا وبما أن بلده لم يكن قادراً على يلبى حاجات روحه المتعطشة للعلم والمعرفة، راح يجوب البلدان المختلفة فى فلسطين و روسيا إلى أن وصل إلى أميريكا. وبعد دراسته الإبتدائية والعليا أكمل دراسة الحقوق فى الولايات المتحدة الأمريكية. وفى تلك الأثناء وضع كتابه "الآباء و البنون" و ثار فيه على الأوضاع الاجتماعية السّائدة فى الشرق العربى. ولما وصل ميخائيل نعيمة إلى امريكا فهناك انضم إلى أدباء المهجر الشمالى وأسس مع بعض الأدباء والكتاب الرابطة القلمية وكان ميخائيل نعيمة من أبرز أعضاء الرابطة القلمية. وانشئت هذه الرابطة فى العشرين من ابريل سنة 1920م. ثم عاد الى لبنان فى سنة 1932م وعاش فيها إلى أن وافته المنية سنة 1988م. ولقد قضى ميخائيل نعيمة أوقاته فى الدراسة و كرّس جل حياته للأدب واللغة والعلم والتاريخ.

محاولته الأدبية والقصصية:

[1]-Mikhail Naimy: A New Year , Translated by J.R.Perry, Page: VII

إن انتاجه الأدبى يعكس لنا مهارة الأديب ويميزه عن معاصريه بحيث يهدى المرء إلى أن يدرك ألوان أدبه و خواطر ذهنه، وأيضاً أن انتاجات الأديب العربى الكبير ميخائيل نعيمة تفتح امامنا أقفال شخصيته. وهو من أكابر الأدباء المعاصرين، وقمة من قمم النهضة الأدبية فى العالم العربى الحديث. لقد كتب فى مجالات مختلفة ترك لنا ثلاثين كتاباً فى مختلف فنون الأدب كالمقالة والقصة والرواية والمسرحية والنقد الأدبى والسيرة الذاتية وغير ذلك. ونحصرها بمجرد ذكر أسماءها وزمان تأليفها وله تسع كتب فى فن المقالة مثل: "زاد المعاد" (1936)، و"البيادر" (1945)، و"الأوثان" (1946)، و"صوت العالم" (1948)، و"النوروالديجور" (1950)، و"فى مهب الريح" (1953)، و"دروب" (1932)، و"أبعد من موسكو ومن واشنطن" (1957)، و "المراحل" (1932)، وفى فن المسرحية "الآباء و البنون" (1917)، و"أيوب" (1967)، وكتب فى الفلسفة "مرداد" (1948).

تتضح لنا من دراسة حياته الأدبية أنه لم يقيد موهبته فى كتابة المقالة والمسرحية والفلسفة بل ابدع ايضاً موهبته الأدبية فى السيرة والتاريخ والمثل والمراسلة وأخرج فيها حوالى ثمان كتب فقد أخرج فى التاريخ "جبران خليل جبران" (1934)، وما بين عامى 1959 و 1960 وضع قصة حياته فى ثلاثة أجزاء على شكل سيرة ذاتية بعنوان "سبعون" (1979)، وفى فن المثل "كرم على درب" (1946)، و"رسائل" (1974) فى فن المراسلة.

وان آثاره تدل على أن ميخائيل نعيمة كان ناقداً أنيقاً وشاعراً موهوباً يعد أحد أهم أباء الأدب العربى الحديث فى المهجر، وقد نشر أول كتاب فى موضوع النقد سنة 1922م تحت عنوان "الغربال" هذا الكتاب مجموع من الأبحاث النقدية. فاشتهرت شهرة ميخائيل نعيمة فى العالم العربى كناقد بكتابه "الغربال". وقد نشر أول مجموعته الشعرية الوحيدة "همس الجفون" (1945) بعد عودته إلى لبنان بثلاثة عشر عاماً. وإذا التفتنا إلى مؤلفات ميخائيل نعيمة

يتجلى لنا ان انتاج ميخائيل نعيمة فى مجال القصة يمثل واقع البيئة اللبنانية وآثاره القصصية أضحت ذات قيمة فنية وأدبية. فأعتبر الكتاب وأصحاب الراى أن نعيمة كان من أوائل الذين عالجو القصة العربية فى القرن العشرين ولذا يعد واحد من رواد القصة فى الأدب الحديث الذين أحدثوا تطوراً هائلاً فى الأدب العربى وانه لعب دوراً هاماً فى تطوير القصة العربية.

ففى بداية القرن العشرين بدأ ميخائيل نعيمة يكتب القصة وكتب أول مجموعة قصصية بإسم "كان ما كان" سنة (1937)، يضم "كان ما كان" القصص التالية منهم "ساعة الكوكو" و"سنتها الجديدة" و"العاقر" و "جمعية الموتى" و " الذخيرة" و"سعادة البك" و"شورتى" . وكان فى العام 1956م قد نشر مجموعة "أكابر" التى يقال أنه وضعها مقابل كتاب "النبى" لجبران خليل جبران ويضم أكابر ثلاثة عشر قصص قصيرة منهم: "أكابر" و "مصرع ستوت" و "كسارالحصى" و "أم وليست بأم" و"عابرسبيل" و "عدوالنساء" و "عصفور وانسان" و "صادق" و "موعدان" و "على الله" و"هدية" و"علبة كبريت" و "ذنب الحمار". و استمر على كتابة القصص الأخرى حتى أصبحت مجموعة فنشرت بعد ستة أعوام فى سنة 1958م "أبو بطة" التى صارت مرجعاً مدرسياً وجامعياً للادب القصصى اللبنانى. ويضم "أبو بطة" قصصه القصيرة المتفرقة التى نشرها سابقا فى كتب المقالات وهى "أبو طة" و"جهنم" و "ثائران" و "النكارولیا" و "اليوبيل ألماسى" و "شهيدة الشهيد" و"صديقى عبد الغفار" و "السرنوك" و "يذوب الجليد" و "جنديان" و "التوبة" و"مسيو ألفونس" و "دية الحيزبون" و "زلزال" و "واحة السلام" و "أصفر الناب"و"قلامة الظفر". وكتب الرواية بعنوان "لقاء" سنة 1946م ، و "مذكرات الأرقش". يقول الكاتب الكبيرعبد الكريم الأشتر عن مميزات قصص ميخائيل نعيمة.

"ويمكننا أن نعتبر القصة عند نعيمة على الإجمال متميزة من أدبه كله بهذه الصفات التى ذكرناها. ففيها يبدو أخلاصه لرسالته الاجتماعية واهتمامه بالحياة الدائرة من حوله، بعده فى اغلب الأحيان عن المسائل المتيا فيزكية. وأصاب فى كتابة القصة نجاحاً كبيراً جعل بعض الناس يسمونه موباسان العرب وقد كشف عن معرفة واعية بشروط

القصة العربية فى بناء الحديث وتماسكة وتطويره وتصويرالشخصية وحوك النسج. وهو لولا ميله فى بعض الأحيان إلى تحميل الشخصية أكثر مما تحمل بحيث تأخذ بعض صفات الكاتب فتفقد الحادثة بذلك بعض ذاتيتها وتتكسر ملامح البطل الخاصة، لكان بلغ فى النجاح مدى أبعد".[1]

ونستطيع ان نقول بعد دراسة انتاجه الأدبى بأن الأستاذ ميخائيل نعيمة عالج سائر أغراض الأدبية المقالة والفلسفة والرواية والقصة والمسرحية والسيرة. وكان فى كلها ذلك الرائد النشيط التّواق إلى الحق و الحرية. أما أسلوبه فهو أسلوب أصيل، دقيق النظروبراعة الصدق وموحى الصور . يصف الأستاذ عباس محمود العقاد أسلوب ميخائيل نعيمة قائلاً.

"وكان ميخائيل صفاء فى الذهن وغيرة فى الإصلاح وفهم لوظيفة الأدب وقبس من الفلسفة. وكان قائلاً بإطلاق التصرف للأدباء فى اشتقاق المفردات وإرتجالها فخالفه العقاد لأن هذه فى نظره يحتاج إلى تنقيح و تعديل. إن الأديب عنده فى حل من الخطأ فى بعض الأحيان و لكن على شرط أن يكون الخطأ خيرا و أجمل و أوفى من الصواب و أن مجاراة التطور فريضة و فضيلة و لكن يجب أن نذكر أن اللغة لم تخلق اليوم فنخلق قواعدها وأصولها فى طريقنا وأن التطورإنما يكون فى اللغات التى ليس لها ماض و قواعد وأصول ومتى وجدت القواعد والأصول فلماذا نهملها أو نخالفها إلا لضرورة قاسرة لا مناص منها".[2]

فتميز أسلوبه الكتابى بالسلاسة والدقة فى التعبير. فهو مع جبران خليل جبران من أبرز رواد النهضة الحديثة ومن اركان المدرسة المهجرية، وقد صاغ ميخائيل نعيمة قصصه بلغة سليمة و أسلوب عربى أصيل و يستعمل لغة سهلة واضحة أقرب ما تكون إلى لغة الشعب التى يستخدمونها فى حياتهم اليومية. ومستلهما

---

[1] عبد الكريم الأشتر، النثر المهجرى كتاب الرابطة القلمية ، ص 69-73-74

[2] محمد يوسف كوكن ، اعلام النثروالشعر فى العصرالعربى الحديث ، الجزء الثانى ، ص 44

من تراث الأدب الغربى حيث التقط مادته من المجتمع اللبنانى حتى اصبحت قصصه قصصا فنية بمعنى الكلمة من حيث الشكل والمضمون. وعلى الجملة لا يخلو أسلوبه من التعريض بالمعتقدات الاجتماعية والعادات البالية التى تسيطر على المجتمع العربى اللبنانى بشكل خاص.

وفى نهاية الحديث نقول أن ميخائيل نعيمة كان رائداً عظيماً من الرّواد الأدب العربى وأصاب فى ميدان القصص والأدب نجاحاً ضخماً وان آراءه هذه أضحت ذات قيمة بالغة فى الأدب العربى الحديث.